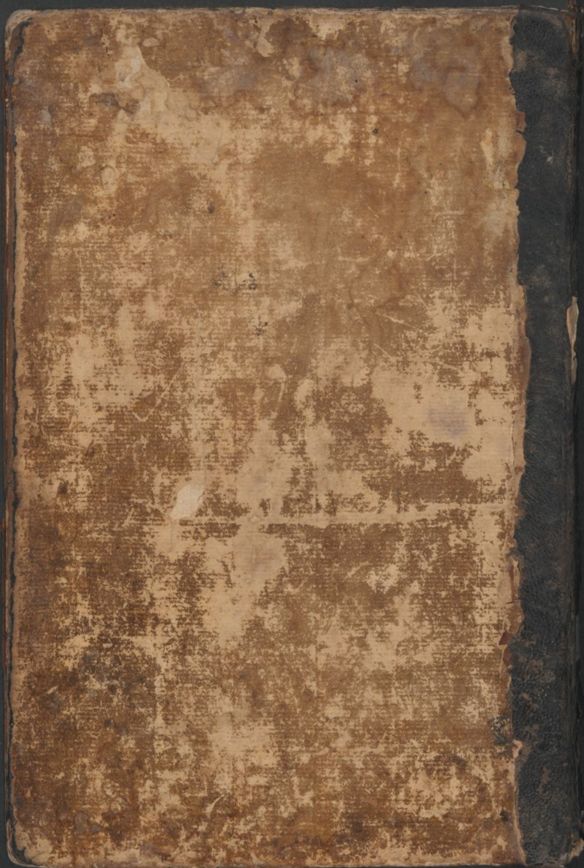
M a r š a d a s - s l i k + n w a - m a n f a a l - h l i k + n

Vollständiger Titel:	M a r š a d a s - s l i k + n w a - m a n f a a l - h l i k + n
PPN:	PPN881933929
PURL:	http://resolver.staatsbibliothek-berlin.de/SBB0001F6FE00000000
Signatur:	Petermann I 595
Kategorie(n):	Außereuropäische Handschriften, Islamische Handschriften
Projekt:	Orientalische Handschriften digital
Strukturtyp:	Handschrift
Seiten (gesamt):	245
Seiten (ausgewählt):	1-245
Lizenz:	CC BY-NC-SA 4.0 International



الرحيم الذم

فيالمريده البياه سمن سمك و تعقد على البيض باذن الله تعالى

بولند بزادة [illegible] حب وياكل منه على الريق وعند النوم

بعسل خل وتجعله

نسخه تقطيع الرياح وصفر والدوخه

خمس دراهم شمر

خمس دراهم يانسون

خمس دراهم كزبرا

خمس دراهم زرورد

درهمين حبا لبان

وقية عسل

ربع وقية مستكه

نصف وقية سكر

ط	د	ک
ط	ه	ا
ط	د	ک

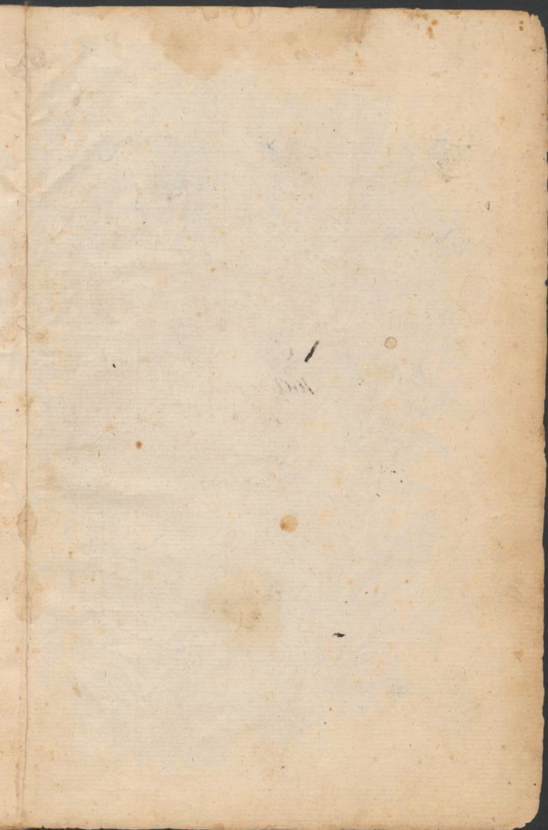
خمس صلوات افترضهن الله تعالى على من احسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن واتم ركوعهن وسجودهن والخشوع فيهن كان له عهد الله عهد ان يغفر له



كتاب مرشد السالكين
ومنقذ الهالكين

صاحبه الحاج
محمد بن الحاج
كنبار





١٥

١

كتاب

مرشد السالكين ومنقذ الهالكين

من تأليف الامام الاستاد
الشيخ الامام العالم العلامة
حجة الاسلام
محمد بن محمد الغزالي
رحمه الله
تعالى

بدعت لرجب خادم الفقرا ام

ان رمت نيل المعالى … ورتبة العارفين
عليك درسا وفهما … لمرشد السالكين
فانه غنا … ومنقذ الهالكين
فاعمل بما فيه خلى … تحشر مع العاملين
رجب عبيدك مولاي … اضحى من المذنبين
فاغفر له ما جناه … يا ارحم الراحمين
واختم بخير الحي … لساير المومنين

لعله فان فيه غناء

هذا صاحبه



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله على آلايه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا
ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى اله وصحبه الاكرمين
الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح
كل واحد نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله جعل
الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا
فيتزودون منها متحرزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر
يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول
منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر
مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه ولياليه وانفاسه
خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه
قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير
والنعيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم
في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير
طاعة الله تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبنة وحسرة
ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل تشمر الموفقون
عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا
بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الاوقات

الاوقات

الاقات وظايف العبادات الاوراد حرصًا على احياء الليل والنهار فى طلب
القرب من الملك الجبار والسعى الى دار القرار فصار من مهمات الدين
تفصيل القول فى كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات على مقادير
الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول فى فضيلة
الاوراد وترتيبها الباب الثانى فى كيفية احياء الليل وما
الباب الاول فى فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد
وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم ان لا نجاة الا
فى لقاء الله تعالى ولا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبًا لله وعارفًا
بالله وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة
وان المعرفة لا يحصل الا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وافعاله وليس
فى الوجود سوى الله تعالى وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا
بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل
ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار فى وظايف الاذكار والافكار
والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر على فن واحد
من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت
الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا ومن ضرورة اللطف بها
بان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت ليغزر
بالانتقال لذاتها ويعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها
فلذلك انقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغى ان يستغرقا

جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مايلة الى ملاذ الدنيا فان صرف الجد شطر
اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات ترجح
جانب الميل الى الدنيا لموافقتها للطبع اذ يكون الوقت متساويا فاني يتقاومان والطبع
لاحدهما مرجح اذا الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب
وان يتقاومان واما الرد الى العبادات فبتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا
في بعض اوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته ومن اراد ان
يترجح كفة حسناته ويثقل موازين اوقاته خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته
فان خالط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع وانظر
الى ما قال الله تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار
سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال الله تعالى واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال الله تعالى
وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال الله تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال الله تعالى واقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف
وصف الفايزين من عباده وعاذا وصفهم فقال امن هو قانت اناء
الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال الله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقال الله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون

وقال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيًا وحين تظهرون وقال الله ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغدات والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق
الى الاخرة الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك
قال عليه السلام احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس
والقمر لحسبان وقال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
والقمر وقال الله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال
الله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود
من سير الشمس والقمر لحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور
والنجوم ان يستعان بها امور الدنيا بل ليعرف مقادير الاوقات
فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة يدل عليه قوله عز وجل
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي تخلف
احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر بين ان ذلك والشكر لا لغيره

بيان اعداد الاوراد وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع
الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان
وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان
والليل يقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى نوم وقت الناس
ووردان في النصف الاخر من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة
كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول بين طلوع الصبح الى طلوع
الشمس

قال تعالى ... وافضل ... (annotation, top margin)
اي فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون (margin)
وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فيها بمنزل واسماءها الشرطين (margin)
للذكر (margin)
وقت (margin)

وهو وقت شريف يدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال الله
والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال الله تعالى فالق الاصباح وقال الله
وقال الله تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل اذ قال الله
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وارشاد الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وبقوله ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار وبقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاعلم انه ينبغي للطالب
الصادق ان يستعد لصلوة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر
فاذا انتبه ينبغي ان يبتدئ بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة لله والقدرة لله والعزة لله
والسلطان لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة ابينا ابرهيم حنيفا مسلما وما كان من
المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير
اللهم انا نسألك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح
فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الحب
والنوى اللهم فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا
اسألك من هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله
ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله
ماشاء الله لا يصرف سوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
لا برح

٦

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوى به ستر العورة امر الله واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه الي بيت الخلاء ان كان به حاجة ويدخل اولاً رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما ذكر في موضعه ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم و يستحب ان يقرأ في الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد فاذا سلم يقول ثلث مرات استغفر الله لذنبي سبحان الله بحمد ربي ثم يصلي على النبي ثم يقرأ الدعاء الذي رواه ابن عباس فيقول اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يضطجع لحظة على شقه الايمن مستقبل القبلة فقد ورد في السنة بذلك ويقول في الاضطجاع اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك وكذا ذكره الشيخ المحقق شهاب الدين السهروردي رحمة الله عليه في كتاب العوارف وقال ولهذا الدعاء اثر كثير وما رايت احداً حافظ عليه الا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية الصديقين بعضهم بعضاً والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى الله وسلم انه كان يقرأ بين السنة والفريضة من صلوة الفجر ثم تخرج من البيت متوجهاً الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الي المسجد ولا يسعى بل يمشي وعليه السكينة به

ورد الخبر ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى
ويدعو بالدعاء المأثور بدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف
الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم بما ذكر في فصل
الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصلهما في المنزل ويشتغل بالدعاء
المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية عند
الشافعي وجلس منتظر الجماعة والاحب التغليس بالجماعة عند الشا
فعي وعند ابي حنيفة الاسفار ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة
عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى انس
ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلوة الصبح
من توضأ ثم توجه الى مسجد يصلي فيه الصلوة كان له بكل خطوة
حسنة ويمحى عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف
عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة
مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل حسنة الفي الف حسنة ومن
صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة
السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين
دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فالقيت ابا هريرة قد سبقني قال يا ابن اخي
لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة
فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة

في سبيل الله او قاتل مع النبي صلى الله عليه ثم يشتغل بعد ركعتي الفجر وصلاته
بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلوة فيقول استغفر الله الذى لا اله
الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد الله
ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ما
ذكرناه من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم يقعد
في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنذكر ترتيبه قال النبي صلى الله
عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس
احب الى من ان اعتق اربع رقاب وقد روى انه كان صلى الله عليه وسلم
اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلى
ركعتين اي بعد طلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا تحصى ولا يتكلم
الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى طلوع الشمس اربعة انواع
ادعية واذكار ويكررها في سبحة وقراءة قران وتفكر اما الادعية
فكما يفرغ من صلوته فليبداء وليقل اللهم صلى على محمد وعلى ال محمد
اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام استغفر الله استغفر الله
استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ويقول لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير عشر مرات ويقول في اخر العاشر واليه المصير هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء

وهو السميع البصير نعم المولى ونعم النصير ويسبح خمسا وعشرين ويحمد خمسا وعشرين ويهلل خمسا وعشرين ويكبر خمسا وعشرين فقد ورد بـ
فقد ورد السنة بذلك في رواية الامام احمد في مسنده والنسائي في عمل
يوم وليله وتختمها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى
الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل
النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله لا نعبد الا اياه مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدا بالادعية التي ذكرت في الباب
الثالث والرابع من كتاب الادعية التي فيه عوا جميعها ان قدر
عليها او تحفظ من جملتها ما يراها اوفق لحالة لقلبه واخف على لسانه واوفق
اما الاذكار المكررة فهي كلمات عشر ورد في تكرارها فضايل لم نطول
بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثرها
مائة او سبعون واوسطها عشر فليكرر كل بقدر فراغه وسعة وقته
وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر يمكن
بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا المواظبة
على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب مرة
من كثيرها ومثال القليل الدايم قطرات ماء يتقاطر على الارض على
التوالي فيحدث فيه حفرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق ما

دفعة م

بصيبٍ او دفعاتٍ متفرقة متباعدة الاوقات ولايتبين لها اثر ظاهر
وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية
قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة
قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع
لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد
السابعة قوله لا اله الا هو الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك ربي ان يحضرون فهذه اذكار لكل واحد منها عشر مرات
افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحد نوع تنبه
وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن
من الملال فاما القراءة فيستحب له جملة من الايات ورود بفضلها احاديث
كثيرة وهو ان يقرا الفاتحة واية الكرسي وخاتمة البقرة وقل اللهم
مالك الملك الايتين وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخره
وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى اخره وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ

ن هذه الكلمات فضلا على حسبها لها والقلب بحل واحد ع
حررنا

ولدا ولم يكن الى اخرها وخمس آيات من اول الحديد وثلث من اخر سورة
الحشر وان قوله المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابراهيم التيمي ووصاه
ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية
المذكورة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرز بن وبرة وكان من
الابدال وقال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل
مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية
قال اعطانيها ابرهيم التيمي رحمه الله قلت افلم تسئل ابرهيم من اعطاه قال
بلى فقال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل
فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن
منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن
اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء فقال جئتك للسلام عليك
وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهداها فقلت ما هي فقال ما هي ان تقرأ
قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد سبع مرات
وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها
الكافرون وآية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبع مرات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتصلي على النبي عليه السلام
وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول
اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا
تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم

7

سبع مرات وانظر ان لا تدع غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك العطية فقال العطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملايكة جاته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما راه في الجنة قال فسالت الملايكة لمن هذا كله فقال للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتى النبي عليه السلام ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملايكة كل صف مثل ما بين المشرق و المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو راس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا مما اعطيته وان لم يرني ولم ير الجنة وانه ليغفر له جميع الذنوب التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيا من السيات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القران فان اضاف اليها شيا مما انتهى اليه ورده من القران او اقتصر عليها فحسن فالقران جامع لفضل الذكر والفكر

فقلت صح

صدق الخضر صح

والدعاء مهما كان يتدبر كما ذكر فضله وادابه في كتاب تلاوة القران فاما
الفكر فاعلم اولا انه من فضايل الاعمال ومفتاح الانوار ومبداء الاستبصار
وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف قال سفيان بن عيينة اذا المرء كانت
له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم
صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك قال نعم من كان نطقه
ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن البصري من لم
يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته فكرا فهو سهو ومن لم
يكن اعتبارا فهو لهو وكان لقمان يطيل الجلوس وحده وكان يمر به
مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس
كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكر دليل
على طريق الجنة ولقد امر الله تعالى به في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى
واثنى على المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية
ولما نزل قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار الاية بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاء شديدا فقال ويل
لمن قراها ولم يتفكر فيها وكل موضع في القران قال تعالى فيه فانظروا ولم
ينظروا افلا ينظرون واعتبروا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لقوم يعقلون
لاولي الالباب لمن كان له قلب وغير ذلك مما لا يحصى حض واغراء على الفكر اعلم
انه قد يجري فيما يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بالدنيا وانما غرضنا القسم
القسم الاول فالنترك الثاني ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب فجميع افكار
العبد

8

اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله وانما غرضنا الاول ههنا فان الثانى يتعلق بعلم المكاشفة فلنترك ه وما يتعلق بالعبد اما ان يكون فكرا فيما هو محبوب عند المعبود او فيما هو مكروه عنده وكل واحد منهما ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصى والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات والمعاصى تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالزحف عن صف القتال وعقوق الوالدين والسكنى فى المسكن الحرام ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلاثة امور الاول التفكر فى انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بنوع فيه والثانى ان هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيترك او هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر فى هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما فى جميعها او اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام يطول ولكن ينحصر هذا القسم فى اربعة انواع فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس له المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصى ينبغى ان يفتش العبد صبحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو ملابس فى الحال بمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او متعرض لها فى نهاره فيستعد بالاحتراز والتباعد منها

الثالث ... التفكر فى انه ان كان متصفا فما طريق الاحتراز عنه

فينظر في اللسان ويقول انه معترض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء
والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر
اولا في نفسه انها مكروهة عند الله ثم يتفكر في شواهد القران
والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض
لها من حيث لا يشعرون ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم
له الا بالعزلة والانفراد وبان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما
تكلم بما يكرهه الله تعالى او يضع حصاة في فيه اذا جلس غيره حتى يكون ذلك
مذكورا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز عن المعاصي المتعلقة
باللسان ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب
وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وانما ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو
وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما
سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة
الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح
الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه و
ملبسه ومسكنه وما يكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم
يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام
ويقرر على نفسه ان العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلوة عبد وفي ثمن
ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر
غنية عن الاستقصاء فما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال
مستغني بتر
اشتغل

المراقبة طول النهار حتى حفظ الاعضاء عنها قد ذكر في موضعه فاطلب منها واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر اولاً في الفرايض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو فيتفكر في الاعمال التي يتعلق بها مما تحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القران والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصية فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم واستماع قراءة وذكر وما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به علي فاودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله بالتعليم وبالوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الان فاني الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة ويتفكر فيما يرغبه في البدار

فاطلب

عضو

وملكوت السموات والارض وغيرها وليستعمل في طاعة الله تعالى ويتطرح

الى تلك الطاعات وينفكر فى اخلاص نيته ويغلب لها سلطان الاستحقاق
حتى تزكو ما عمله وقس على هذا ساير الطاعات واما النوع الثالث
فهي صفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها من كتب احياء علوم الدين
ومن كتب علما الاخرة وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب
والريا والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه
هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر فى كيفية امتحانه بالاستشهاد
وبالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير عن نفسها وتكذب فاذا ادعت
التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب فى السوق كما كان
الاولون تجربون به انفسهم فاذا ادعت تعرض لغضب يناله من غيره ثم
يجربه فى كظم الغيظ وكذلك فى ساير الصفات وهذا فى انه هل هو موصوف بالصفة
المذكورة ام لا ولها علامات تكثر وهي مذكورة فى كتاب احياء علوم الدين
وفي جميع الكتب المصنفة فى فقه الدين لعلماء الاخرة فاذا دلت العلامة على و
جودها تفكر فى الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشاءها من
الجهل والغفلة وخبث الدخل كما لو راى فى نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول
انما عملي بيدي وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق
الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي
حرك اعضاي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي فلا اقوام
لنفسي بنفسي واذا احس بنفسه بالكبر قدر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترى
نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر يموت
مقربا الى الله بنزوعه عن الكفر فى بعض عمره وموته على الايمان والعمل الصالح

وكم من مسلم يو [illegible] بعض عمره وموته على سوء الاعتقاد
وضعف الايمان والاعمال الخبيثة الموجبة لسوء الخاتمة ونعوذ منه فاذا عرف
ان الكبر مهلك فان اصله الحماقة الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بتعاطي اعمال
المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشره فيتفكر في ان هذه صفة
البهايم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات
الملائكة ولما اتصف بها البهايم ومهما كان الشره عليها اغلب كان بالبهايم
اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد فكذلك يفتكر على نفسه في الغضب ثم
يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك مذكورة في كتاب احياء علوم الدين
وفي الكتب القديمة المصنفة في فقه الدين لعلماء الاخرة فمن يريد ان
يتسع له طريق الفكر ولا بد له من تحصيل ما في تلك الكتب واما النوع الرابع
وهو المنجيات فهي التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء
والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والاخلاص
والرضاء بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع اليه وكل ذلك مذكورة في الكتب
المذكورة مع اسبابه وعلاماته فيتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من
هذه الصفات التي هي مقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال
لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه
حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا والتفكر فيها وليجمعها على نفسه
وليعظمها في قلبه ثم ينظر الى الوعيد والتشديد الذي ورد الشرع فيه
وليحقق عند نفسه انه معرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث به حال الندم

وان الشغال المحبة

فاذا اراد ان يستثير من قلبه حال ... ... احسان الله اليه
واياديه عليه وفي ارسال جميل ستره عليه على ما شرح بعضه في كتاب الشكر
من كتاب احياء علوم الدين وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر
في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدايع
صنعه كما رمز الى طريق يسير منه في كتاب الفكر من الكتب المذكورة فاذا اراد
حال الخوف فلينظر اولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وكرابه
ثم فيما بعده من سوال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه
وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق
على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم
في الصراط ودقته وحدته ثم خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال
فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فيكون من اصحاب اليمين وينزل
دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها
واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح
صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها
وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد
سمعوا زفيرها وتغيظها وشهيقها الى جميع ما ورد في القران شرحها واذا
اراد ان يستحدث حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها واثمارها
وانهارها وحورها ولذاتها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا الطريق
الفكر الذي يطلب به العلوم الذي يثمر اجتلاب احواله محبوبة والتنزه عن صفات

11

المذمومة وقد صنف في كل واحد من هذه الاحوال كتب تشتمل بعجائب طلب
شيئا وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع
من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء
للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير
الاحوال وفيه ما يزجر عن ساير الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأه العبد
ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو بمائة مرة
وقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة كاملة فان تحت كلمة
منها اسرارا لا تنحصر لا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب
بعد صدق المعاملة كذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تامله العالم
حق تامله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول
فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان
هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر
اذ لو وقفوا على معانيها وغلب على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت
بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة
التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان يتخذ ذلك عادتك ودينك فلا تغفل عن نفسك
وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة الى الله تعالى بل كل مريد

بصير

[Marginal notes:]
اما الاذكر مجامع مجاري الفكر فيما يطلب الاحوال المحمودة ويوجب البعد عن الاحوال المحمودة فلا يوجد شيء انفع فيه من القرآن
فان تحت كلمة
ان نكون له اصباحا ومساء

فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة صفات المنجيات
وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات
عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والريا والحسد
وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات
عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضاء بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال
الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله
تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما
كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها من جريدته ويدع الفكر فيها و
يشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم
يتم الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الر
ذايل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى على الجميع و
كذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة
والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ولا سبيل الى هذه الرذايل الابعد محو المعاصي
الظاهرة فينبغي قبل محو هذه الرذايل الممقوتة والاخلاق المذمومة ان يثبت في
جريدته المعاصي الظاهرة كل الشبهات واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة
والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالات الاوليا
والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من
يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه
ومالم تطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره
بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون

تفقدهم

12

نفقدهم لها فتفكرهم فيها الى ... ينعزل منها مثاله العالم الورع
فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة و
انتشار الصيت اما بتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة
عظيمة لا ينجوا منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن
الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع
وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخلو عن انفة وغيظ وحقد على
من يرده اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه
ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة
بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان
ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد و
الاعتراض لم يخلو عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ حرصا على
استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه
ويقول انما حرصك على تحسين الفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق
وتحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه لحسن الفاظه
وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه وهو
مخدوع وانما يدور حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما
اختلج ضميره لظاهر الصفات ظهر على ظاهره حتى يكون للموقر له
المعترف له بفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا

من يغلو في مولات غيره وان كان ذلك [illegible] المولات وربما ينتهي الامر
باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النسا فيشق على احدهم ان تختلف بعض
تلاميذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه
وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في القلب التي قد يظن
العالم النجات منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات
ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك فمن احس في نفسه بهذه الصفات
وعلم وجودها بالعلامات المذكورة فالواجب عليه الانفراد والعزلة
وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي جمعا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون
الفتوى وكل من كان يستفد كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي (يستفد بيان)
شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو انفتح لاندرست العلوم
من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي
وكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام والدين مستغني عني واما انا
مستغني عن اصلاح واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان (قلبي)
الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار عن طلب العلم
لكان حب العلو والرياسة تحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصول
والخروج منها والاشتغال لطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب الى
الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشره
اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يؤيد

13

يؤيد هذا الدين باقوام [illegible] هذا الدين بالرجل الفاجر

فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق وقال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان عاديان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب المال من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفاء هذه الصفات من قلبه اي من صفة الخفي في استنباط طرق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم المتقي ولما اكثر امثال العلماء زماننا فلينبغي ان يكون تفكرهم فيما يتوى ايمانهم بيوم الحساب اذ لو راوهم السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالهم اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والشبهات والحرام وترك المعاصي وهم منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات وهم مقصرون في الفرايض منها فلم يحصل لهم من ثمرة العلم الا انه يقتدى بهم في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتهم كانوا كالعوام اذا ماتوا ماتت معهم ذنوبهم فما اعظم الفتنة التي تعرضوا لها لو تفكروا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا واياهم ويصلح بنا ويسهل النعم علينا وعليهم فهذا مجاري افكار العلماء والصالحين والصلحاء في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفكر عن انفسهم وارتفعوا منها الى التفكر

يقال انهمك في الشي اذا لج

ويوفقنا واياهم للتقوى [illegible] ان يشوقنا الى [illegible]

اي من علم المعاملة

في جلال الله تعالى وعظمته [illegible] ولا يتم ذلك الا بعد
الانفكاك من جميع الصفات المهلكات والاتصاف بجميع الصفات المنجيات
وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا
وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يلبث ولا يدوم ويكون كالعاشق
الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد
اخرى فينغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في اكمال التنعم الا
باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات
وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغ العقارب والحيات
وهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد فيما ينفعه في المعاملة وذلك
كله بعد ان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه
الذي بين يديه فان تدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيق
في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم الاخرة كيف ماكان فمصيرها
الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم خير من خير لا يدوم ولذلك
قيل ان اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحق على كل ذي
امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة النفس والتضييق عليها في حركاتها
وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة
نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كثير من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الاباد
فان قضاءها ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح به
نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة

فيقول للنفس ثمّ ... [illegible] ... قد نار اس المال ووقع
اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى فيه
وانسى في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا
يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا واحسب انك توفيت ثم رجعت فاياك ثم
اياك ان يضيع اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمت لها قال الله تعالى
حكاية عنهم رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الايه وجد مكتوبا على اهل قبر

يا ايها الناس كان لي امل ... قصرني عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل ... امكنه في حيوته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى ... كل الى مثله سينتقل

واعلمي انه لو عرض على موتى يوم واحد من ايام عمرهم الذي ضيعوها لكان ذلك
احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشف لهم حقايق
الامور فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر تقصيره فليتخلص عن
العقاب وليتزيد الموفق به الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد
انقطاعهم فحسرتهم في ساعة من الحيوة وانت قادر على تلك الساعة
ونقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على
تضيعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك من
ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض اولياء الله رايت اخا لي في الله
فيما يرى النايم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال الان

علي ان اقولها احب الي من ... جواير فنوبي فان فلانا
قام يصلي ركعتين لان اكون اقدر على ان نصيتها احب الي من الدنيا وما
فيها قف بالقبور ونادي في سلحتها من منكم المغموم في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها
اما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بالسن تصف الحقايق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة يفضي الى ما شا من راحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة ياوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها
واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرين ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد
بكل يوم وليلة اربع وعشرين خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراه مملوة
نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور ما لو وزع
على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة
اخرى سودا مظلمة يفوح نتنها وتتغاشى ظلامها وهي الساعة التي عصى الله
تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم
نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا
ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشي من مباحات
الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله القادر على
الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به

١٥

حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول لنفسه
اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب
ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين
ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرتها وهذه وصية النفس ثم يستانف
لها الوصية في اعضائه السبعة كما ذكرنا ثم يستانف وصيتها في وظايف
الطاعات التي يتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر
على الاكثار منها وترتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها
باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان
شرط ذلك على نفسه اياما فطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن
المشارطة فيها وبقي ولكن لا تخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة
لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال
الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو يوم واقعة جديدة يحتاج
الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشرط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد
للحق في مجاريها وتحذرها شر عاقبة اهمالها ويعظها كما يعظ العبد
الابق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية
ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا
وما يجري مجراه وهو اول مقامات المرابطة مع النفس وهذه محاسبة قبل العمل
والمحاسبة تكون تارة بعد العمل وتارة قبل للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه

مقامات

وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع هواها وتمنى على الله ومعناه وزن
الامور اولاً وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا
وتهيؤا انفسكم للعرض الاكبر فقد قال الله تعالى وَنَضَعُ الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال الله تعالى وَوُضِعَ الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرةً
ولا كبيرةً الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً يدعون
الويل والثبور ويضجون من الصغيرة قبل الكبيرة وقال الله تعالى يوم
يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه الاية وقال الله تعالى ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله
نفسه فان في كلام الله الف اية مثل هذه الايات فتحقق ان الله لبالمرصاد وان
الناس سيناقشون في الحساب ويطالبون بما قبل الذرة من الخطرات واللحظات
فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال
جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات
القيامة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لك ذلك و
علمت انه لا ينجي من عذاب الله وعقابه وسخطه الا طاعة الله تعالى وقد امر الله
بالصبر والمرابطة فقال الله يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وعليك

وقال اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي
ورابطوا على اعدائي

اشارت اولندی

تحصيل كتابتها اقتضاها ... في هذا الكتاب الى شيء يسير منه
وسيجيء ان شاء الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل ان الرجل
ليسأل عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه قال
الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية فهذه الوظايف الاربعة اعني الدعاء
والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان يكون وظيفتك بعد صلوة الصبح بل في كل ورد
بعد الفراغ من وظيفة الصلوة سوى هذه الوظيفة ويتقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه
ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن
سبيل الرشاد **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وذلك يعني
ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنى عشر ساعة وهو الربع ففي هذا الربع من النهار
وظيفتان احداهما صلوة الضحى وقد ذكر في كتاب الصلوة ان الاولى ان يصلي ركعتين
عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي اربعا او ستا
او ثمانيا اذا رمضت الاقدام فوق الركعتين هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي
والاشراق وهو ظهور تمام نوره بارتفاعه عن موازات البخارات والغبارات
ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل
اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق
فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال **الوظيفة الثانية**
في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادة بكرة من عيادة مريض
وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة
لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظايف الاربعة التي قدمناها من الادعية
والذكر والقراءة والفكر والصلوة المتطوعة
بها ان شاء وتصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده

الورد الثالث

فليس بعد الصلوة وظيفة صح

من ضحوة النهار الى الزوال والوقت ... الاقسام الاربعة ويزيد امران

ان احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا

فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا

ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه

مهما قدر على ان يكسب في كل يوم لوقته فاذا حصلت كفاية يومه لوقته

فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع

به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد

المؤمن الا في ثلث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او في حاجة لا بد له منها وقل

من يعرف القدر فيما لا بد له منه بل اكثر الناس يقدرون ما عنه بد انه لا بد لهم

منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون

ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا

فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه **الامر الثاني** القيلولة وهي سنة يستعين بها

على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط

اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى

الاذكار والوظايف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي

على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله

النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري

كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام

الليل ... ونية ... قبل الزوال ... الاستعداد والصلوة ... وحضور المسجد ... وقت العبادة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ... يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل الاعمال ... النهار ... غفلت الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد ... جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته

وفصل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع
الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وآخر معنى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر اى يخلف احدهما الآخر فى الفضل والثانى اى تخلفه فيتدارك فيه
مافات فى احدهما **الورد الرابع** مابين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر ورواتبه
وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما
زالت الشمس وابتدا المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم
الى احياء مابين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى قال الله تعالى وحين تظهرون (وقت الاظهار)
وليصل فى هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة وليطول هذه الركعات
اذ فيها يفتح ابواب السماء كما ورد فى الاخبار وليقرا فيها سورة البقرة او سورتين من
المائين او اربعا من المثانى فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة وليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره
ابن مسعود ان يتبع فريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرا فى هذه النافلة
اية الكرسى وآخر البقرة والايات التى اوردناها فى الورد الاول ليكون جامعا له
بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد
الخامس** مابعد ذلك الى العصر ويستحب فيه ان يقعد فى المسجد مشغولا بالذكر
والصلوة او فنون الخير ويكون فى انتظار الصلوة معتكفا فمن فضايل الاعمال انتظار
الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة (العادة) السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر
فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه

(margin) السبع الطوال من البقرة الى البراءة والمائين من الشورى التى اتيها ماية او اكثر الى مائتين ومن بعده ان يكون المثانى وهو يكون اياته اقل من مائة م

(margin) فليثبت افضل احياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن بات قبل الزوال اذ يكره النومان فى اليوم قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل فالحد فى النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات

في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه
مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره
عشرين سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث
ولكن لما كان النوم غذاء للروح كما ان الطعام غذاء للبدن وكما ان العلم والذكر
غذاء للقلب لم يكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه يفضى الى اضطراب
البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرنت نفسه عليه من غير اضطراب و
وهذا الورد من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله تع
اذ قال ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
واذا سجد لله الجمادات فكيف ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد
السادس اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي اقسم الله
تعالى به اذ قال والعصر هذا احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين
وهو العشي المذكور في قوله تعالى وعشيا وفي قوله تعالى بالعشي والاشراق وليس
في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض
ويشتغل بالاقسام الاربعة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان
وتتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلوة تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك
جميع الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الاربعة في الورد
الثلثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب الى الارض بحيث يغطي
نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوءها دخل

هذا الورد وهو المراد
بقوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وهو
طرف الثاني
المراد بقوله تعالى
واطراف النهار قال الحسن
كانوا اشد تعظيما
للعشي منهم لاول
النهار فيجب تخصيص هذا
الوقت التسبيح والا
ستغفار خاصة
وسايرما

في الورد الاول من الاذكار العشر معونه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله
استغفروا الله انه كان غفارا استغفارا انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل
غروب الشمس والشمس وضحيها والليل اذا يغشى والمعوذتين وان تغرب
الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار
نهارك واصوات دعاتك واسالك ان تغفر لي الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن
ويشتغل بصلوة المغرب بالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله
ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا
او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم
لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مرفها عن التجسيم كانت
يسارة فليشكر الله على توفيقه من عمره وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة
النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تقصيره ان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله
على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره وطول ليله ليستعد بتدارك تقصيره وليخطر بقلبه
ان نهارا العمر له آخر تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب
التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

باب بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب

واشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر هذا الورد غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبتها تدخل
وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة
فيه ناشئة الليل لانه اول نشوء ساعاته وهو من اناء المذكورة
في قوله تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار وهي المراد بقوله تعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع وهي صلوة الاوابين

قال النبي صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون

روي ذلك عن الحسن واستدلين ابي الزبير (واستشهد) في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل
فقال صم عن هذه الاية الصلوتين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بالغات ملغات النهار
النهار وتذهب آخره وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها ساعة
المعنية بقوله تتجافى جنوبهم وسياتي فضل احياء مابين العشائين وترتيب هذه الورد
ان تصلي بعد المغرب ركعتين اولا ويستحب ان يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية
قل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلهما
ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها
في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان عزم العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل
اذا كان آمنا من التصنع والرياء **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء الي
حد نومة الناس وهو اول الاستحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال الله تعالى والليل
وما وسق اي وما جمع من ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلي سوى
فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل الفرض احياء مابين الاذانين وستة بعد الفرض
ركعتان ثم اربع ويستحب ان يقراء فيها من القران الآيات المخصوصة كاخر البقرة
واية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني ان تصلي ثلث عشر ركعة آخرهن الوتر فانه
اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول
الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار
ذلك عادة له فاخر الليل افضل ويستحب ان يقراء في هذه الصلوة ثلث مائة اية من السور
المخصوصة التي كان صلى الله عليه وسلم يكثر قرائتها مثل يس وسجدة الم تنزيل وسورة الدخان وتبارك

سورة سبح اسم ربك وقل يا ايها الكافرون والاخلاص الثالث الوتر وليوتر قبل النوم
ان لم يكن عادته القيام وان كان معتاد الصلوة الليل فالتاخير افضل وقالت عايشة
رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره
الى السحر ويستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملايكة والروح
جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت
وروى انه عليه وسلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال
للقاعد نصف اجر القايم وللنايم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نايما
في ما مضجعا **الورد الثالث** في النوم فانه اذا روعيت آدابه احتسبت عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا الله يكتب مصليا حتى يستيقظ
ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له
وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف
من العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون في النوم بالاسرار
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال
معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيا واتفوق
القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي
فذكر للرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك وآداب النوم عشرة الاول الطهارة
والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش وكانت
رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث
احلام لا يصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا فطهارة الباطن هو المؤثر
ذلك بنده

ای مضطجعا

غير

ای العلم

ذكره مع

...ای قرآن

فی انکشاف حجب الغیب الثانی ان یعد عند راسه سواکه وطهوره وینوی القیام
للعبادة عند التیقظ وکلما تنبه یستاک کذلک کان یفعله بعض السلف روی عن رسول
الله صلی الله علیه وسلم انه کان یستاک فی کل لیلة مرارا عند کل نومة وعند التنبه منها
وان لم یتیسر لهم الطهارة فکانوا یستحبون مسح الاعضاء بالماء فان لم یجد فلیقعد
ولیستقبل القبله ولیشتغل بالذکر والدعاء والتفکر فی آلاء الله وقدرته فذلک یقوم
مقام قیام اللیل وقال علیه السلام ومن اتی فراشه وهو ینوی ان یقوم ویصلی من
اللیل فغلبته عیناه حتی یصبح کتب له مانوی وکان نومه صدقة علیه من الله
الثالث ان لا یبیت من له وصیة الا وصیته مکتوبة عنده فانه لا یامن القبض
فی النوم یقال من مات من غیر وصیة لم یوذن له فی الکلام بالبرزخ الی یوم القیامة یتزاورة
الاموات ویتحدثون وهو لا یتکلم فیقول بعضهم لبعض هذا المسکین مات من غیر وصیة
وذلک مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفیف الا لمن لیس مستعدا للموت بکونه
مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ینام تائبا من کل ذنب سلیم القلب لجمیع المسلمین لا یتحدث
نفسه بظلم احد ولا یعزم علی معصیة ان استیقظ قال النبی علیه السلام من اوی الی فراشه
لا ینوی ظلم احد ولا یحقد علی احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا یتنعم بتمهید
الفرش الناعمة بل یترک ذلک او یقتصد فیه وکان بعض السلف یکره التمهید ویری
ذلک تکلفا للنوم وکان اهل الصفة لا یجعلون بینهم وبین التراب حاجزا ویقولون منها
خلقنا والیها نرد فکانوا یرون ذلک ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح
بذلک نفسه فلیقتصد السادس ان لا ینام ما لم یغلبه النوم ولا یتکلف استجلابه
الا اذا قصد به الاستعانة علی القیام فی آخر اللیل فقد کان نومهم غلبة واکلهم فاقة وکلامهم

ضرورة ولذكر وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلوة
والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس رضي الله عنه يكره
النوم قاعدا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم
تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال يصلي احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم
فليرقد وقيل له ان فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكني اصلي
وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني

السابع

ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر
وهو المستلقي على قفاه له ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني
والثاني استقبال اللحد وهو كمن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قباله
بدنه اذا نام على الشق الايمن

الثامن

الدعاء عند النوم فيقول باسمك
ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة ويستحب ان
يقرأ الايات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله تعالى
والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله يعقلون ويقال ان من قرأها عند النوم حفظ عليه
القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الاية ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض الى قوله من المحسنين واخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الايتين الى اخره
فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين
وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده وكذلك كان يفعل

فاستقباله

في النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يحضر بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة
والموت كمثل البرزخ بين الدنيا والاخرة وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في
الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك
تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك قال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك
الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت
في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك الدعاء
الى اخره كما ذكر في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام
وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما يغلب
عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب

العاشر
الدعاء عند تنبهاته وتقلباته فليقل مهما تنبه ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
فليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه
عند التيقظ ذكر الله فهو علامة حب الله ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا
ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحب
هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد
لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما ورد من ادعية التيقظ

الورد الرابع
يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه
وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا

وان حب القران حشر معه وان حب الصدقة حشر معه وان احب الصلاة حشر معها
وان حب المشي الى المساجد حشر معه وان حب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حشر معه

قال عليه السلام المرء مع من احب
المرء مع خليله
وقال عليه السلام المرء على دين خليله
قال عليه السلام يحشر المرء على حب خليله
فان حب عالما حشر معه وان حب جاهلا حشر معه وان حب ساهرة حشر معه

وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى والليل
اذا سجى اى اذا سكن وسكونه وهدوه فى هذا الوقت فلا تبقى عين الا نايمة سوى الحي
القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اي اذا استد وطال وقيل
اذا اظلم وسيل رسول الله اي الليل اسمع فقال جوف الليل وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي فى اخر الليل ورد الاخبار باهتزاز
العرش وانتشار الريح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى السماء الدنيا وغير
ذلك من الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة
الى السماء الدنيا حين تبقى ثلث الليل الاخر يقول من يدعونى فاستجيب له من يسالنى
فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وفى رواية يبسط يديه يقول من يقرض غير عدوم
ولا ظلوم حتى ينفجر الفجر وقال ان فى الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسال الله خيرا
من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة وقال عليه السلام عليكم
بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيات ومنهات
عن الاثم وفى رواية ومطردة للداء عن الجسد وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون
الرب من العبد فى جوف الليل الاخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة
فكن وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التى للاستيقاظ يتوضا وضوءا كما سبق
سننه واداته وادعيته ثم يتوجه الي مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل
عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والبهاء
والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد

اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق صلى الله عليه وسلم اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت اسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين وقالت عايشة رضي الله عنها كان عليه السلام اذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند تسليمة بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اول ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت عايشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر ويقرا في هذه الركعات من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير

الورد الخامس

السدس الاخير من اجزاء الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيه

من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار
ويستحب في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر وهو المراد بقوله سبحانه ومن الليل فسبحه وادبار
النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به
لنفسه وشهدت به ملائكته واولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله
وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك
ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب
الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور
صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه
الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان
له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة
او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار اتقوا النار ولو بشق تمرة
ودفعت عايشة رضي الله عنها الى سايل عنبة واحدة فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم
ان فيها لمثاقيل ذر كثير فكانوا لا يستحبون رد السايل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم على كل
سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك
بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك
الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى
ياتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد لحرث الاخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال
اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره

ولولو العلم بيان

اقتضاء وراد الليل ... اوراد النهار ... ركعتين ...

الرجل فلكل صدقة حتى يقضي بين الناس ... ولقوله صلى الله عليه ...

الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطالاً
فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف وظايفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما
في الصلوة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثني عشر الف
تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثماية ركعة الى ستماية ركعة
والى الالف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلوة ماية ركعة في اليوم والليلة وكان
بعضهم اكثر ورده القران وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي
اليوم والليلة في التفكر في اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف
في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن
في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو
مايتان وثمانون ركعة فان قلت فما الاولى فاعلم ان القراءة القرآن في الصلوة قائما مع التدبر
يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود
الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه
فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك
نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال
من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك
تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسره فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها
بوقع في قلبه فليواظب على تكراره ما دام يجد له وقعا وقد روي عن ابراهيم ابن ادهم عن بعض
الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاط البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا
فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملايكة موكل بهذا البحر

23

اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما اسمك قال مهليهائيل قلت فما ثواب
من قاله قال من قال مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح
قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من
يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله
الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد
ووجد له في قلبه وقعا فليلازمه واينما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب
عليه **الثاني** العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف
فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى مطالعة الكتب والى التصنيف
والافادة يحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل
ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك العقل والنقل قوله تعالى شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث
باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا وقوله تعالى يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجات
فوق المومنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله
تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
وقوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه
بقوة العلم وقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن
وعمل صالحا بين ان اعظم قدر الاخرة يعلم بالعلم وقوله تعالى وتلك الامثال نضربها

بيانه
قوله ولو ردوه

للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله [illegible] ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقايع الى استنباطهم والحق رتبتهم
برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقيل في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اى الحياء وقوله
تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تع
بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه
البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام
العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف
الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السموات والارض
واي منصب يزيد على منصب من يشتغل ملايكة ما في السموات والارض بالاستغفار
له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه خصلتان لا يكونان
في منافق حسن سمت ولا فقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء
الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسياتي بيان معنى الفقه وادنى درجات
الفقيه ان يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته
من النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل الناس المومن العالم الذي ان احتيج اليه نفع
وان استغني عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته
الحياء وثمرته العلم وقال عليه السلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد
واما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم
على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال عليه السلام يوزن
يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا من
السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال عليه السلام من حمل من امتي

اى دلالات واضحات

اربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما وقال عليه من تفقه في دين الله
كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام اوحى الله تعالى
الى ابرهيم اني احب كل عليم وقال عليه السلام العالم امين الله في الارض
وقال عليه السلام صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس الامراء والفقهاء وقال
عليه السلام اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك لي
في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من اصحابي فانظر كيف نزل العلم مقارنا بدرجة النبوة وكيف حط رتبة
العمل وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن
عبادة وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة
وقال عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين الله ولفقيه واحد
اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال
فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال عليه السلام بين العالم
والعابد مائة درجة ما بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال
علي كرم الله وجهه العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال
محكوم ينقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصايم القايم
المجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال

علیم صح

ايضا نظما منه بيت شعر ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

ففز بعلم ولا تاخذن به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء

وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك

وقال ابن عباس رضي الله عنه خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك

فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء قيل

فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية

التي بها يتميز عن ساير البهايم هي العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله

وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بالجماع فان

اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكماء

ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي

رحمة الله عليه اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا

بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه العلم والحكمة ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء

القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض

وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة

الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا

عنه احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه ذلك وذلك كاحساس المفيق عن سكره وبما

اصابه من الجراحات في حالة السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس

نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه

عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان تهلك رواته والذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله
شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدهم لم يولد عالما وان العلم بالتعلم وقال
ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الى من احيائها وكذا عن ابى هريرة واحمد بن
حنبل وقال الحسن فى قوله تعالى ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وهو العلم والعبادة وفى الاخرة
هى الجنة وقيل لبعض الحكماء اى شىء الاشياء تقتنى قال الاشياء التى اذا غرقت سفينتك
سبحت معك يعنى العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم
من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار
وقال الشافعى رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شىء حقير فرح ومن دفع
عنه حزن قال الاحنف كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم ابن ابى الجعد اشترانى
مولاى بثلثمائة درهم واعتقنى فقلت باى حرفة احترف فتيل بالعلم فاحترفت بالعلم فما تمت
لى سنة حتى اتانى امير المدينة زائرا لى فلم آذن له وقال ابن الزبير لابن ابى بكر بالعراق
عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وقال لقمان لابنه
يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل مطر
السماء وقال الزهرى العلم ذكر ولا يحبه الا الذكور من الرجال **فضيلة**
التعليم اما الايات **قوله** تع فلولا نفر من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد **قوله تعالى**
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو
ايجاب للتعليم **وقال الله تعالى** وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وهو تحريم الكتمان كما قال تع فى الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه

صلى
دفسّره الله عليه وسلم فقال مالي الله علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه
ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال الله تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال الله ويعلمهم الكتاب والحكمة
واما الاخبار فقال عليه السلام لما بعث معاذ الى اليمن لان يهدى الله
بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا والاخرة ومافيها وقال عليه السلام من
تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى عليه السلام
من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في ملكوت السموات عظيما وقال عليه السلام اذا كان
يوم القيامة يقول الله تبارك للعابدين المجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا
تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض ملايكتي اشفعوا تشفعوا
فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم
الذي لا يتعدى وقال عليه السلام من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من النار
وقال عليه السلام نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها
ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة وملعون
ما فيها الا ذكر الله وما والاه ومعلم ومتعلم وقال ان الله وملايكته واهل السموات
والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما افاد
المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها
المومن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله ذات يوم
فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال
اما هولاء يسالون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هولاء فيعلمون الناس

26

وانما بعث معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عنه عمله الا من ثلث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به من بعده وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة وهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا وقال عليه السلام رحم الله على خلفائي قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وامات الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقد روى ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث ولم يسئله الناس فقال اكتروا لي لاخرج من هذا البلد بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن مسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسألني عن شيء وقالوا العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضئ به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمة الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضع فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من ابائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك ممن يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل وروي مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء

والوزين عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما
فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير يقتص آثارهم وترمق
افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم وباجنحتهم تمسحهم كل رطب ويابس يستغفر لهم
حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حيوة
القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد
منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام
به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه يوصل الارحام وهو امام والعمل
تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء وقال عبد الله بن المبارك من بخل بالعلم
ابتلى بثلاث اما موت فيذهب علمه واما ينسى واما يلزم السلطان فيذهب علمه
وقيل له هل بقى من ينصح قال وهل بقى من يقبل فالعالم متصرف في قلوب البشر
ونفوسهم واشرف موجود على ظهر الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر
الانسان قلبه والعالم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله
تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة الله ومن وجه خلافة الله وهو اجل خلافة
فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم المعلم الذى هو اخص صفاته فهو كالخازن
لانفس خزانته ثم هو ماذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون
العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله عز وجل زلفى وسياقتهم الى جنة
المأوى فقد تبين لك ان العلم افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها وكيف لا وفى
العلم المواظبة على ذكر الله تعالى والتاسي بما قال الله وقال رسوله وفيه منفعة الخلق
وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح به عبادة عمره

عمرع ولو لم يتعلمه لكان سعيه ضايعًا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي
يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا والعلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة
اذا تعلموه على الاستعانة على السلوك دون العلوم الذي يزيد الرغبة في المال والجاه
وقبول الخلق فان قلت فصّل لي ذلك العلم تفصيلا يشير الى تراجمه وان
وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم ان علم الاخرة قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة
وعلم المعاملة علم ما يتعلق بالايمان وهو ما ذكرنا في قواعد العقايد وعلم الاعمال
وهو ما ذكرنا بعد من احكام الطهارة والصلوة والزكوة والصوم وغيرها وعلم الاحوال اعني
احوال القلب ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء
والرضاء والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال
والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص
ومعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها
ومعالجة ما ضعف منها حتى تقوى وما زال حتى يعود وما يذم منها كخوف الفقر
وسخط المقدور والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول
البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة
بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض
فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب

وخروج الحنفية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف
الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله
في سلب ما اعطي والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل
والتسويف والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها
والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء
وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت
الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات
فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها
وهو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها هالك
بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك
بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر فقها الدنيا في فروض
العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل
فقيه زماننا عن معنا من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل
او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله
هلاكه في الاخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك
مجلدات من التفريعات الدقيقة التي ينقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها
وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها ولا يزال
يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا
روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه

[Marginal and interlinear glosses: باهلها; الانتقام; اي التاخير; تكبر; قرين; خوف; خوف الدنيا; قليل التجربة; خفيف الرأس; حرام; بتشير; بقهر; بالتشنيع; نظر فقهاء الآخرة في فروض العين بالتسبة الى الآخرة; السود; وقد تقدم; تعالى; اي كتاب الفقه; الاكمال; اي باطل; مشتغل; علم; علم الدين; سرد الفقه الشرائع قرأ في]

وعلى غيره في تعاليمه والفَطِن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية
لقدّم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فليت شعري كيف يرخص
الدين في الاشتغال بفروض كفاية وقد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به
هل لهذا سبب الا انه قد يتوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام
وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات
قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان
يعيذنا من هذا الغرور الذي يُسخط الرحمن ويُضحك الشيطان وقد كان الفقهاء الذين
هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم وهو ابو حنيفة والشافعي ومالك
واحمد بن حنبل وسفيان الثوري كل واحد منهم عالما بعلماء الاخرة وعابدا وزاهدا وفقيها
في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم
فقهاء الفرق من جملتها على خصلة واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه
لان الخصال الاربع لا تصلح الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة
ان اريد بها الاخرة فلصلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة
وهيهات فلا يقاس الملائكة بالحدادين وظلموهم بانتحال مذهبهم وانهم من اشد
خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه
بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات
علماء الاخرة وقال ابن المبارك رحمة الله عليه كان ابو حنيفة رحمه الله له مروة وكثرة صلوة
قال حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وقال ربيع بن عاصم ارسلني يزيد بن عمرو بن
هبيرة فقدمت بابي حنيفة رحمه الله فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا

العين خ — فليت حاصلا على خ — اي بفروض الكفاية — فرض العين — اي بفروض الكفاية — خصلة واحدة — وهو ابو حنيفة والشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان الثوري — بادعاء — فلا يشابه — اي من احوال ابو حنيفة والشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمة الله عليهم اجمعين

فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام
عن ابي حنيفة رحمه الله فانه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه
او يضرب ظهره فاختار عذابه على عذاب الله وذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون
رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وقد امر ابو جعفر امير المومنين بعشرة
الاف درهم فما رضي ابو حنيفة بها فلما كان في اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم
تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسوله بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا
الا بالكلمة اي هذا عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى بعد الكلمة
ابو حنيفة رحمه الله بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة
واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة رحمه الله
قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحاً على دينه ودعي
الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح له فقيل لم قال ان كنت صادقاً فلا اصلح له وان كنت
كاذباً فالكاذب لا يصلح للقضاء فهذا ما يدل على عبادته وزهده واما علمه بامور الآخرة
وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا قال ابن جريج كان
ابو حنيفة رحمه الله شديد الخوف من الله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة رحمه الله طويل الصمت
دايم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على علم الباطن والاشتغال
بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله واما الشافعي كان يختم القرآن
في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وقال رحمة الله عليه ما شبعت منذ ست عشرة سنة
لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة
فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجلها وراس التعبد
رأسه

تقليل العبادة وقال رحمه الله عليه ما حلفت بالله [illegible] صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته
وتوقيره لله عز وجل ودلالة ذلك على علمه بجلال الله تعالى وقال رحمه الله علمه لكتب حكيم الى حكيم
قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في ظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور
علمهم وقال احمد بن يحيى خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل
يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنى
كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شي في
وعايه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد بها رادها كما شقي بها
قائلها وقال الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض الولات وانصرف الى مكة بعشرة الاف
درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج مرة
من الحمام فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه مرة من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه
جزاء على ذلك خمسين دينارا وسخاوته اشهر من ان تحكى وراس الزهد السخاء لان من احب
شيئا امسكه ولم يفارقه وروى سفيان بن عيينة حديثا من الرقايق فغشي على الشافعي
فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وسمع يوما قاريا يقرا هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فتغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا
شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض
الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت رقبة المشتاقين الهي هب لي
جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك وروي ان عبد القاهر
كان رجلا ورعا وكان يسأل الشافعي رحمه الله عن مسايل في الورع والشافعي يقبل عليه
لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء

فلا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله امتحن

ابرهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام

ثم مكن له وامتحن سليمان عليه السلام ثم آتاه ملكا عظيما والتمكين افضل الدرجات قال

الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وقال في حق ايوب وآتيناه اهله ومثلهم

معهم وهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القرآن والاطلاع

على مقامات السايرين الى الله من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الاخرة

فهذا وامثالها مما لا يحصى يدل على عظم رتبتها في علوم الاخرة وكذلك ما نقل

عن الايمة الثلاثة الباقية فلا نطول الكتاب بايرادها واما علم المكاشفة

هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب

من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال

الاخرون كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان

محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق له وقد يتحقق لساير العلوم واقل عقوبة من

ينكره ان لا يرزق منه شيا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة عن

نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفات المذمومة وينكشف من ذلك النور امور

كان يسمع من قبل اسمايها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فيتضح اذ ذاك حتى يحصل

المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته التامات وبافعاله وبحكمه في خلق الدنيا والاخرة

ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ

الملايكة والشياطين وكيفية معادات الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء

وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة ملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملايكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشياطين ومعرفة الاخرة

والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره
ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين
ومعنى التفاوت الدرجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا فيها الكوكب الدري
في جو السماء ومعرفة الابطن السبعة من القرآن وكشف الحقيقة عن المسائل المختلفة
بين اهل القبلة الى غير ذلك مما يطول تفصيله فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع
الحجاب حتى يتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي
لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداه وخبثه
بقاذورات الدنيا واتباع علم طريق الآخرة العلم بتصقيل هذه المرآة عن هذه
الخبائث التي هي الحجاب عن الله وهو معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها
بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما يتجلى من القلب
ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي تفصيلها
مذكورة في موضعها او بالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها
اهله الا مع اهله وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان من
العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا لم يجهله الا اهل
الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ آتاه فان
قلت قد علمت علم الآخرة من علماء الآخرة وما علامتهم فاعلم انه قد ورد
في علماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم

القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة المفارقة بين العلماء الدنيا والآخرة
ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل
الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة
عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه
عاملا وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق
وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء
ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا فهذا وغيره يدل على
عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه
بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر ان اخوف
ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم
اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف
الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم
واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن ادهم اي الناس
اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند
الموت فعالم مفرط وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد
علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما
تلعب به الدنيا وانشد وا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال
صلى الله عليه وسلم ان العالم يعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار

فتندلق اقتابه فيدور بها كما تدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون مالك

فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقال تعالى في قصة بلعم بن

باعورا واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان

من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب

ان تحمل عليه يلهث وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات

وقال عيسى عليه السلام مثل العلماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن

ومثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها عظام الموتى وهذه الادلة تبين ان الفائزين

هم علماء الآخرة ولهم علامات منها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك

حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها

وجلالة ملكها ويعلم انهما ككفتي الميزان مهما رجحت احدهما خفت الاخرى وانهما كا

المشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت من الآخر وانهما كقدحين احدهما مملوء

فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ من الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا

وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما تصفو منها فهو فاسد العقل فان

المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا

يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون مقتدى

اهل الايمان من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في

غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم ثم لم يؤثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته

شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود

ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود

لاتسألني عن عالمًا قد اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اوليك قطاع الطريق
على عبادي يا داود اذا رايت لي طالبًا فكن له خادمًا يا داود من رده الي هاربًا كتبته
جهبذًا ومن كتبته جهبذًا لم اعذبه ابدًا ولذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت
القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم محبًا
للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وانشدوا وراعي الشاة يحمي الذيب
وراع الشاة يحمي الذيب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذيابٌ وقيل
يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد ولا تظن ان ترك
المال يكفي للحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال وروى ابو هريرة انه عليه السلم
قال من طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة
يوم القيامة وقد وصف الله تعالى علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا قوله لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون
في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه
قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه عليه السلام قال اوحى الله تعالى
الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون
الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى
من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخدعون وبي يستهزؤن لاتيحن لهم فتنة
تذر الحليم حيرانا وروى ضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علماء هذه

32

رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يوخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبين يقدم على الله يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان آتاه الله العلم فضن به عن عباد الله واخذ طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلم فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له اثر حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هذا هو الخنزير فقال موسى يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله فيما اصابه فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه فما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا قد ورد فلا نطول بايراده فان الله لا يقبل الا ما كان خالصا لله الا لله الدين الخالص فقال عليه السلام لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة **ومنها** ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال الاوزاعي شكت النواويس الى ربها

قبور الكفار

ما الجرمن نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم
فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة
الاوثان وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون
لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا
انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيامة اشد حسرة
من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا وهلك هو وقال مالك بن
دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر
عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها
وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وروى مكحول عن عبد
الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس
العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن
ياجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة
زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله
يوم القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الناس
عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر اذا زل عالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث
بهن يهدم الزمان احديهن زلة عالم وقال ابن مسعود سياتي على الناس
زمان تملح فيه عذوبة القلب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون
قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة
وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها

وتطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبر كل عالمهم حين يلقاك انه يخشى الله بلسانه والفجور بيّن في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال كعب يكون في اخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون يؤثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير النساء على الرجل يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال يقول اطلبوا العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قايلا يقول الحكم تضيع العلم فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال صلى الله عليه وسلم مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القران ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسوال عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض

السفه بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روى عن حاتم الاصم تلميذ شقيق
البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلاثين سنة
فقال فما تعلمت مني في هذه المدة فقال ثمان مسائل فقال شقيق انا لله وانا اليه راجعون
ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها فلا احب ان اكذب
فقال هات هذه الثمان مسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد
يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي
فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال شقيق احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت
في قول الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
المأوى فعلمت ان قوله هو الحق فاجتهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت
على طاعة الله الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة
عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكل شيء
وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده الرابعة اني نظرت الى
الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت
الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما
الخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا
واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
فتركت الحسد واحببت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق السادسة
نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى

قال النبي عليه السلام من تشبه بقوم فهو منهم ومن احب بقوم فهو يحشر الله معه يوم القيمة منهم

ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحرته واجتهدت في اخذ
حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدوي فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت
الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له
ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
ومستودعها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي
وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا
على تجارته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى
ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله
فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهو يدور على هذه الثمان المسائل
فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن
له علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه
ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الانبياء كلهم فقال الضحاك بن مزاحم
ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها
ان يكون غير مايل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن
بل يوثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل
في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء
الاخرة حزبه ويشهد بذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم
الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمايه وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم
الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف

قال بعضهم في اصلاب ابائهما
وقال بعضهم في ارحام امهاتهما
وجب
في بستان
وهذا على صنعته
اي النوع مبتدا
والتورية بالعمل عن تخص
عن مخلوق مثله
الاهتمام
تبدر
علماء الاخرة
علماء الاخرة
اسودة واشتق
ميانه
حرح

يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال حاتم الكم حاجة فاني اريد
ان اعود فقيها لنا وهو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى
الفقيه عبادة فانا ايضا اجئ معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري
فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب
عالم على هذا الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة
وستور وبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه واذا بفرش
وطيئة وهو راقد عليها وعند راسه غلام ومذبة فقعد الرازي يسال
وحاتم قايم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة
فقال نعم فقال ما هي قال مسئلة اسالك عنها قال سلني قال قم فاستوحتى اسالك
فاستوى فقال علمك هذا من اين اخذته فقال الثقات حدثوني به قال الثقات
عمن قال عن اصحاب رسول الله قال اصحاب رسول الله عمن قال عن رسول الله قال
ورسول الله عمن قال عن جبريل وجبريل عن الله قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله
الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات
اليك هل سمعت في ذلك العلم من كان في داره اميرا وكانت سعته اكثر كان له عند الله
المنزلة الكبرى قال لا قال حاتم فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب
في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة قال حاتم فانت
لمن اقتديت ابالنبي واصحابه الصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص
والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول
العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل

مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين
اكبر شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني
مبتدا ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضا للصلوة فقال نعم وكرامة يا غلام هات اناء
فيه ماء فاتى به فقعد الطنافسي وتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا فقال حاتم
مكانك حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا
ثم غسل الذراعين اربعا فقال الطنافسي له يا هذا اسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت
ذراعك اربعا اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجميع
كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس
اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت
رجل الكن عجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال حاتم معي ثلث خصال بهن اظهر
على خصمي افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اجهل
عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه
قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الرحمن لا تسلم من الدنيا حتى يكون
معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئا وتكون من شيئهم
آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال حاتم يا قوم اية
مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله قال فاين قصر رسول الله حتى اصلي فيه قالوا ما كان
له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض فقال فاين قصور اصحاب رسول الله قالوا ما كانت
لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطية بارض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون
فقال له الوالي ولم ذلك قال لا تعجل علي فانا رجل غريب دخلت البلد فقلت مدينة

فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون ع

من هذا فقالوا مدينة الرسول فغلت واين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال
الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم ممن تأسيتم ابرسول
الله ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوعه وتركوه هذه حكاية
حاتم وكذلك كان سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل والتخفيف فيه ان التزين
بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة
الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب
المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم واموراخر هي محظورة وحرام
محض والحزم في اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة
ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا
فالتوسع على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء
الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر **ومنها** ان يكون
منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل
ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم لكم وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها
بايدي السلاطين والمخالطة لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم
مع انهم ظلمة وتجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار
ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله
عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين
حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم فذلك هو السحت
وعلى الجملة مخالطتهم مفتاح لشرور عدة وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط والتحفظ

في هذا يقتضي تفصيلا فاعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلثة احوال الحالة الاولى
وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دون دونها ان يدخلون عليك
والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك الحالة الاولى
وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات
تواردت بها الاخبار والاثار فننقلها ليعرف ذم الشرع له ثم نتعرض
لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما يقتضيه الفتوى في ظاهر العلم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم
في دنياهم فهو منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون
فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وقد قال صلى الله عليه وسلم
من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون
عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي
وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون
النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى
زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فان
الركون هو الميل اليسير وقوله تعالى الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم
ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه
فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم ولما خالط الزهري
السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت

اسم اخ مذكور

بحال ينبغي لمن عرفك يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله
بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه اوليس كذلك اخذ الله الميثاق على
العلما قال الله سبحانه وتعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما
ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل
الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادنوك اتخذوك
قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون
فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء
فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا
عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ
عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر
البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان
في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزايرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى
الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ
على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل
يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء معناه
وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ثم لا ينصركم هو
هذا كلام صاحب الكشاف وقال العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا

فاذا فعلوا ذلک فقد خانوا الرسل فحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش
لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك
وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا قليل قال
سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال صلى الله عليه وسلم
شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول
الدمشقي من تعلم القران وتفقه في الدين ثم صحب السلاطين تملقا اليه وطمعا
لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتى الى
مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال له انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم
العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على السلطان الا
وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة
والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ
منهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان
بالرخص وما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم
وكان ذلک نجاة لهم عند ربهم وقال ابوذر لسلمة يا سلمة لا تغش باب السلطان فانك
لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك افضل وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة
صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه
ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعاير الشرع الى ان يخيل
اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض
في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا

فاذا شغلوا فقدوا فاذا افتقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز
الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم الى امر الله فكتب اليه
اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف
فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانه وهذا في عمر بن عبد العزيز وكان
ازهد اهل زمانه وقال عبادة ابن الصامت حب القاري الناسك للامراء نفاق
وحبه للاغنياء رياء وقال ابوذر من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر
سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج
ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا
فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شئ يسير فقال له
عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا فهذه الاخبار والآثار تدل
على ما في مخالطة السلاطين من الفتن فانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك
تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على
السلطان معرض لان يعصى الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله
واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول اليهم في
وتخطيها والدخول فيها بغير اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القايل ان ذلك
مما يتسامح به الناس كتمرة او فتاة خبز فان ذلك في غير المغصوب واما المغصوب
فلا وان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة
او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جايز لانه انتفاع بالحرام
واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث انه دخول
ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قايما في سلامه وخدمته

للظالم بسبب ولاية التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظلم لاجل غنايه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف القتل او الضرب الشديد او التسجين او لامام عادل او العالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن جراح يد عمر رضي الله عنهما لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو عن الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم وبساطهم هذا من حيث الفعل **واما السكوت** فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت عن جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب وآكلين للطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جايز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه للارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع علم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري بين يديه وهو يشاهده ويسكت مشاهدته **واما القول** فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب

والموات والاشتياق الي لقائه والحرص علي طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما الدعاء فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله ووفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة ومع الخطاب بالمولي وما في معناه غير جايز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الي الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلث معاص وقد قال عليه السلام ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الي التصديق فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سيل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقي شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الي ان يثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الي اظهار الحب والشوق الي لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا في حب بقاء ظالم وحقه ان يبغضه لله تعالى ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاصي ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاصي لمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاصي من حيث انه لا يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر ومن اراد ان يعلم ثواب الحب لله والبغض في الله ووجه الجمع بينهما في شخص واحد ومراتب من يحب في الله ويبغض فعليه بكتاب الاخوة فان من طلب شيا وجد وجد

39

من ذلک کله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسع النعمة ويزدري نعم الله ويكون مقتحما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثير سواد الظلمة بنفسه وتجميل ايام ان كان ممن يتجمل به وكل ذلک اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب رحمة الله عليه الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي عليه السلام نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال لا والله لا يقتدي احد من الناس بي فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب الولاية الثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلک رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول

الحالة الثانية

ان يدخل عليه السلطان زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله تعالى فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلک لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله

اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه
فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب
واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فايدة فيه بل يجب عليه
ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده
الى طرق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من
غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في محل
جهله والتخويف فيما هو مستجر عليه والارشاد الى ما هو غافل عما يغنيه عن الظلم
فهذه ثلثة امور يلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل
من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر روى عن محمد بن صالح
قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف
يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذ دق داق
الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك
امتلات منك رعبا فقال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه
وجه الله هابه كل شيء فان اراد ان يكثر به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض
عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته
بها قال محمد والله ما اعطيك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها
فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل
في قسمتها فيأثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا
يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم

ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت
بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله
تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون
لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم وما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدردا
رضي الله عنه اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم
فضول الاموال ينظرون اليها وننظر معهم وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل
من احاط علمه بظلم ظالم او معصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا فرض
لانه من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان
تكره فانها اما ان يغفل عنها او يرضى بها او تكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا
فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل احد على حق الله كجناية على حقك فان قلت
الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بالضرورة
الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله
وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله تعالى واجبة واذا
احب كره ما كرهه الله واحب ما احبه الله وقد ذكر تحقيقه في كتاب المحبة والرضا فان قلت
فقد كان بعض السلف يدخلون عليهم فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل
سفيان الثوري على ابي جعفر بمنى فقال ارفع الينا حاجتك فقال له اتق الله قد
ملأت الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك

فقال انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم فطاطا راسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك فقال حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى هاهنا امورا لا تطيق الجمال حملها فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا الزموا دخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي ...

السوء فقعة اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما
يتقعقع فقال له والى البصرة اتدري مالذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال
قال قلة الطمع الينا وترك الاقبال لما في ايدينا وهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين
واما الان فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق
الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ماذكرناه في معرض الوعظ
لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر
بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما
يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة
عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من
اقرانه ووقع موقعه القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله
على كفايته هذا المهم فان كان يتمنى في ترجيح الكلام في قلبي فهو مغرور والثاني
ان يزعم اني اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة المغرور
ومعيار ما تقدم ذكره **مسئله** اذا بعث السلطان الى العالم مالا لا
يجوز اخذه ان امن عن غائلتين لما وبي ان يقتدى به ويستدل به على جواز اخذه مطلقا
فالمقتدي والمتشبه به يجوزان يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه يكون
فعله سبب وضلال الخلق كثير **والثانية** ان يتحرك قلبه الى حبه فان كان كذلك
فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل قال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي
يدا فيحبه قلبي بين عليه السلام ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك فانه اذا احبه بقاءه وكره
عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته ولكثرة ماله وكان ذلك حب اسباب الظلم قال سلمان رح

من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهد وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار الآية وبهذا تبين ان اخذ المال الآن منهم وان كان ذلك المال
بعينه عن وجه حلال محض ورع مذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوايل

مسئلة

المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يأخذ عوضا فهو حرام فان ادى
الثمن من الحلال فيبقى النظر في المعوض فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج
منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام وان امكن ان يلبس نساؤهم فهو مكروه
فهذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما وقت ركوبهم
الى قتال المسلمين او جباية اموالهم وكذلك القوس والنشاب والسرج وما يشبهها
واما ما لا يعصى في عينه كالنقود فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون
على الظلم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه الكراهية جارية في
الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة
والترسل والحساب واما تعليم القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان
ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق
من غير جعل واجرة مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون
به المعصية كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم فذلك
حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمبيع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل
حصل الكراهية

مسئلة الاسواق التي بنوها

بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب

كبيع العنب من الخمار

فهو مسلم

بالطريق الشرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناها ولم يحرم الكسب وللناس ان يشتروا
منهم ولكن لو وجدوا لها سوقا اخرى فالاولى الشراء منها فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير
لكرا اخوانيتهم مسألة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم اشد من معاملتهم امّا
القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق
بزيهم فانهم على زي العلماء يختلطون بهم ويقتدون بهم فهو سبب انقياد الخلق اليهم
واما خدمهم فظاهر قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم
على من شهدت عليه وبالجملة اما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد
العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم قال
صلى الله عليه وسلم لا يزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالي قرّاؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقران ومعانيه المفهومة
بالسنة وما وراء ذلك من العلوم المحدثة بعدهم اى بعد السلف وقد قال
سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدوات
وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق قال النبي عليه السلام
لعن في الخمر عشرة وقال ابن مسعود آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون
على لسان محمد وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه وقال حتى
اعلم ما تكتب به فكل من حواليهم من خدمهم ظلمة يجب بغضهم في الله جميعا وكانوا
متصاحمون اذا سلوك الطريق خوفا ان يكونوا متوجهين الى ظلم فيكون هو بارشاده
معينا فهذا حكمهم وحكم كل من تزيا بزيهم اذ لا يتشبه بالفساق الا فاسق وليس للصالح
ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم مسألة المواضع التي بناها الظلمة

من خدمهم صح

ينبغي ان يحتاط فيها وينظر كالقناطير والمساجل والسقاية اما القنطرة
اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من موضع معين فلا يحل العبور واما
المسجد فان بني في ارض مغصوبة او خشب مغصوب من موضع او مال
معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة وان كان من مال لا يعرف مالكه
فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد فلا يترك الجمعة والجماعة به
لانه محتمل وكذلك حكم السقاية والبوارد وهذه الابنية ان كانت من خدم السلاطين
فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضايعة الى المصالح ولان الحرام اغلب
على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للسلاطين وارباب الامر
مسئله الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى
البتة وان لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان امكن وان كان الشارع
مبلطا وفوقه ساباط جاز العبور والجلوس تحته على وجه لا ينتفع به في دفع حر فان انتفع به حرم
الشمس او اذى المطر او غيره فهو حرام لانه انتفاع بالحرام والانتفاع بالحرام
حرام ومنها ان لا يكون متسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا او
محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب
او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري
وان سئل فيه لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه
واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم

يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وكان ابراهيم التيمي
اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي ولما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال
لا ادري حتى اعلمه الله ان خير البقاع المساجد وشرها السوق وكان في الفقهاء من
يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد
بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت
في هذا المسجد مائة وعشرون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد
يسال عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة
تعرض على احدهم فيردها الى الآخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب
الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشويا وهم في غاية الضر فاهدى الى آخر
واهدى الآخر الى آخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء
فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه وكان شغل الصحابة والتابعين
في خمسة اشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وذلك لما سمعوا من قوله عليه السلام كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلاثا امر
بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الاية ومنها
ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق
الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة يفضي الى المشاهدة ودقائق
علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب والكتب والتعليم فلا يفي بذلك بل العلوم الخارجة
عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله تعالى

مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح
الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه
بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب
فتح الله له من لطايف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة
يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد
به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين
يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم
من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطني
حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله عليه
فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها الحديث وكم من معاني دقيقة من اسرار القران يخطر على القلب المتجرد
للذكر والفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا تطلع عليها افاضل المفسرين
فاذا انكشف ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله بالهمم المتوجهة
اليه فقال علي في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس
ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون
مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال
العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه

من نار جهنم ومن افات الدنيا

وعلموا ان ذلك في ... واخلوا في ... انما الفضل على الفضل ... وعرض ... [illegible]

صغير ... جمع ... [illegible]

النفقة محبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة فى حيوته وجميل الاحدوثة
بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان
الاموال وهم احياء والعلماء باقون الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه ان هاهنا
علما جما لو وجدت له حملة بل اجد طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين فى طلب
الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحجه على خلقه او منقادا
لاهل الحق ينزرع الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له
الا لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد فى طلب الشهوات او مغرى
بجمع المال والادخار منقاد الهواه اقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم
هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا يخلو الارض من قايم لله بحجة
اما ظاهر مكشوف واما خايف مقهور لئلا تبطل حجج الله وتبيانه وكم
واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب
موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب اشباههم
هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه
المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها
معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله فى ارضه والدعاة الى دينه ثم
بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم وهذا الذى ذكره آخرا هو وصف علماء الآخرة
وهو العلم الذى يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة فان قلت فما علم
القلب والمجاهدة قلت المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة
اعمالا فى الجوارح وفى القلب اما الحالة التى فهى مراعات القلب للرقيب واشتغاله

والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه اما المعروفة التي يثمر هذه الحالة
فهي العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على
كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر اثره للخلق مكشوف
بل اشد من ذلك فهذه المعروفة اذا صارت يقينا يعني انها خلت عن الشك
ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استجرت القلب اذا مراعاة جانب الرقيب
وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعروفة هم المقربون الى الصديقين والى اصحاب
اليمين اما الصديقون فمراقبتهم مراقبة التعظيم والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا
بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع بالالتفات الى القلب
اصلا ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من تحضر عنده وهو
فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابيه مثلا ولا يكلمه حتى
كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني وهذه القلوب
المعظمة لملوك الارض بل قد تستغرق بهمتها حقير من مهمات الدنيا فيقوم الرجل في الفكر
فيه ويمشي فربما يخطي الموضع الذي قصده وينسى وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف
في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم
الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد من اين جئت
عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت
احدا ومر يحيى بن زكريا بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا
جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت
اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت

ولا يستبعد هذا فان نظيره في مشاهد الخلق يكثر وهو استغراق الهم بالرقيب حتى يكون...

من سبق من هولاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى
وقال الى خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه الله
ولا يسمع الا منه وقال ابن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري
فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في الصور شابا وكهلا قد اجتمعا على
حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد فدخلت على الصور وانا جايع عطشان
وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شي فدخلت المسجد فاذا شخصين قاعدين مستقبلي
القبلة فسلمت عليهما فما اجابا فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت بالله تعالى
الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي وقال يا ابن خفيف
الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل
شغلك حتى تفرغ الى لقايانا فاخذ بجميتي فنظر الي وطاطا راسه في المكان فبقيت
عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنايي فلما كان وقت
العصر قلت عظني فرفع راسه وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصايب ليس لنا لسان
العظة فبقيت عندهما ثلثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا
ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بوعظهما
فرفع الشاب راسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رويته ويقع هيبته
على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين
الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق لهم متسع لغير ذلك وهذه مراقبة
لا يطول النظر في تفصيل اعمالهم فانها مقصورة على القلب واما الجوارح فانها تتعطل
عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا يحتاج
بالمراقبة

٩٥

الى تدبر و تثبت في سبيل حفظها على سنن السداد فان القلب اذا صار مستوفياً بالمعبود صار الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف اما اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع مباشرة الاعمال لا تخلو من المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة فانهم يرون ان الله في الدنيا مطلع عليه فلا يحتاجون الى انتظار القيامة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلواتك قد يتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه يطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا يدهشك ولا يستغرقك فانه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا يختلف مراقبة العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة يحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل واما قبل العمل فلينظر الى ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله تعالى خالصة او هو في هوى النفس او متابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وان كف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه وهمه به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر ينشر للعبد في كل حركة من حركاته

فان صغرت ثلاث دواوين الديوان الاول لم والديوان الثانى كيف والديوان
الثالث لمن معنى لم اى لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه
لشهوتك وهواك فان سلم عنه عن الديوان الثانى فقيل كيف فعلت فان لله
فى كل عمل شرطا وحكما ولا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف
فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث
وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت هذا الوجه الله تعالى خالصا وفاء
بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمرايات خلق مثلك فخذ اجرك منه
ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت سهوا وغفلة
فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك فان عملت لغيرى فقد استو
جبت مقتى وعقابى اذ كنت عبدا لى تاكل رزقى وتترفه بنعمتى ثم تعمل
لغيرى اما سمعتنى اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ويحك اما سمعتنى اقول
الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات
والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا
فلا يبدى ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد
قال عليه السلام لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه
وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحسن رحمه الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى
وان كان عليه تاخر وكان فى حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند
همك اذا هممت وقال محمد بن على ان المومن وقاف متان يقف عند همه

ليس بخاطر ليل فهذا هو النظر الاول في المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين
والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان ومتى لم يعرف
نفسه وربه وعدوه الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بين ما يحب الله
ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل
الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ولا تظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم يعذر فيها بل طلب العلم فريضة على كل مسلم
ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات
النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه فالجاهل لا يعرفه فكيف
يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله
من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على
كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم
والسعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه
ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع
اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث
الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة القصد للشر من
منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد
الاول واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعين بالله
من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور
علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد

عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرا القران مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرا القران مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي لا يقرا القران مثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ومثل المنافق الذي يقرا القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر

دعاء عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم

تفقه فان الفقه افضل قائد الى البر والتقوى واعدل قاصد فقيها واحد متورعا احب الى الرحمن من الف عابد

جنبي تجافى عن الوساده خوفا من الموت والمعاد من خاف من سكرة المنايا لم يدر ما لذة الرقاد

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة

فقد اوحى الله تعالى الى داود لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع طريقي على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله فان مستضئ انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد لحرث الآخرة لأن احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها وقد قال عليه السلام ان الله يحب البصير الناقد عند الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقلا لا يعود اليه ابدا فاقدر العقل الضعيف الذي يسعد الآدمي به حتى تعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجرد الفقيه الدنيا ثم ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه فان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم عليه السلام من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدأهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطلت الحاجة الى السلطان يسوسهم واحتاج السلطان ومرشد الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم السلطان الى قانون يسوسهم فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فان الفقيه

المعلم

وبهذا تقرب الالفاظ الى الفهم ... بمعنى

باستقامتهم واموريهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا
فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل
والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فهو ضايع ولا يتم الملك والضبط
الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق
بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك
الفقه فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات
وفصل الخصومات فلا يستقيم في العبادات من الصلوة والصيام ولا في المعاملات
من بيان الحلال والحرام فاعلم ان ما يتكلم الفقيه فيه من اعمال الآخرة الاسلام
وليس يلتفت فيه الا الى اللسان والصلوة فيفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال
مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر
في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا ينفع في الآخرة
كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اى انقطع
عنه القتل والتعزير **واما الخشوع** واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة
وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه
واما الزكوة فينظر فيها الى ما يقطع عنه مطالبة السلطان حتى انه
اذا امتنع فاخذا السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته ولا يذكر شروط القران
من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي
ينفق ماله رياء الناس وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
قسط

بآخرته الا ان تخوضوا فيه وشروط الحديث من طيب النفس وابتغاء مرضات
الله تعالى وغير ذلك اما الحلال والحرام فلورع من الحرام من الدين بل هو
اساس العبادات كلها ولكن للورع من الحرام اربع الاولى الورع الذي شرط
في عدالت الشهادة وهو الورع عن الحرام الذي يخرج بتناوله الانسان عن اهلية
الشهادة والقضاء او الولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر والفقيه لا يبحث
الا فيه اي فيما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك فاذا جميع نظر الفقيه يرتبط بالدنيا
طب والقول صح
التي بها صلاح طريق الآخرة وقد كان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر
يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم
ليعمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف والديات
والقسامة والشجاج والسبق والرمي ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله فهو مجنون
ولقد كان الفقه اسما في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقايق آفات
النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع على نعيم
الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وما يحصل به الانذار والتحذير والتخويف هذا هو هذا
العلم وهذا الفقه دون تعريفات الطلاق واللعان والاجارة فذلك لا يحصل به انذار
وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له.
وقول النبي عليه السلام من يرد الله به خيرا يتفقه في الدين وقول ابي حنيفة رحمه الله الفقه
معرفة النفس ما لها وما عليها وسال فرقد السبخي الحسن عن شي فاجابه فقال ان
ان الفقها لا يخالفونك

فقال الحسن ثكلتك امك وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب
فى الاخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض
المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ
لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتوى فى الاحكام
الظاهرة ولكن كان بطريق العموم وكان اطلاقهم له على علم الآخرة اكثر فخصصوا بمعرفة
الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقايق عللها واستكثار الكلام وحفظ
المقالات المتعلقة بها ونقلوا بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراد السلف
الصالح والقرن الاول كما بدلوا لفظ العلم والتوحيد والتذكير والحكمة فثار من هذا
التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض من علم الآخرة ووجد على
ذلك معينا من الطبع فان علم الآخرة غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب
الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب
بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع وكذلك الحكمة هى التى
اثنى الله عليها قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا
وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذى كانت الحكمة
عبارة عنه والى ماذا نقل واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم
اعظم على الدين من شر الشيطان اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين
من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى فقال اللهم
غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس
وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام

وسيعود غريباً كما بداء فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسد الناس
من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم
عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم
اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك
قال الثوري اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق
بالحق ابغضوه بل السبب في اقبال الخلق على هذه العلوم هو ان الخلافة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلفاء الراشدين افضت الى قوام تولوها بغير
استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة
بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم
وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم
صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا
واضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل
تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم
فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا
على الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات
والصلات فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخلو عن ذل الطلب
ومهانة الابتذال واصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا
اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا الاقلون عن علماء الدين وقد كان
اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليه في الولايات

والخصومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامرآء من سمع مقالات الناس في قواعد
العقايد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام
فاكب الناس على علم الكلام وسموه علم التوحيد واصول الدين واكثروا فيها التصانيف
ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا
ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كما زعم من قبلهم
ان غرضهم الاستقلال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله
ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام و
فتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة
والخصومات الناشية المفضية الى اهراق الدمآء وتخريب البلاد ومالت نفسه
الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على
الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم واكثروا فيها
التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع الجدالات وهم مستمرون عليه
الى الآن وليس ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار ولو مالت نفوس
ارباب الدنيا الى خلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر لمالوا ايضا معهم
ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى
التقرب الى رب العالمين ومن عليه فرض عين واشتغل بفرض الكفاية
وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلوة في نفسه
ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي عريانا

ولا يحل الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما زعم الفقيه ان وقوع النادرة التي عليها الكثر مباحثه ممكن والمشتغلون بها مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى عصى بذلك فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب بل في البلد فرايض ولا يلتفتون اليها ولا يشتغلون بها كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما يرى الفقيه في مجلسه حريرا ملبوسا او مفروشا وهو ساكت ويباحث في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يتقرب الى الله بفرض الكفاية فكن احد الرجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق بالاعمال وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب ما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخوات هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها ثم يجر ذلك بك الى المقامات المحمودة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين فان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب

عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات اذا همت به
وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه
وصار ذلك ديدنا وعادة متيسرة فيك فاشتغل بفروض الكفايات والعلماء
ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها
واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا
وباطنا واما مهلك نفسه ومسعد غيره وهو الذي يدعوا الى الآخرة وقد
رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر
من اي الاقسام انت وان اشتغلت بالاعتذار له ولا تظنن ان الله تعالى
يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل فطالب الرياسة في نيته هالك
وقد يصلح بسببه ان كان يدعوا الى ترك الدنيا وذلك فيما كان حاله في
ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي
يحترق في نفسه ويستضيء به غيره واما اذا كان يدعوا الى طالب الدنيا
فمثاله النار المحترق التي ياكل نفسها وغيرها فقد تبين لك ان الاهم
معرفة آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور وآفات الاعمال وقد اندرس
ذلك في هذه الاعصار ولا ينبغي ان تخوض في امر حتى تتثبت وتعلم ذلك بنور العلم
او بنور العلماء الاخر انه لله ام لا وكل من خاض شبهة بغير تحقيق فقد خالف
قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم الآية وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام

قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان الصديق
رضى الله عنه يقول فى دعايه اللهم ارنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وارنى
الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعله على متشابها فاتبع الهوى
فاذا النظر الاول للمراقبة نظرة الهم والحركة اهى لله ام للهوى وقد قال عليه
السلام ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لايخاف فى الله لومة لايم ولا يرائى بشئ من
عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة آثر هى الاخرة على الدنيا
واظهر ماينكشف له فى حركاته ان يكون مباحا ولكن لايعنيه فيتركه لقوله
عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثانى
المراقبة عند الشروع فى العمل وذلك بتفقد كيفية العمل لتقضى حق الله
فيه وتحسن النية فى اتمامه وتكمل صورته ويتعاطاه على الكمل مايمكنه
وهذا لازم له فى جميع احواله فانه لايخلو فى جميع احواله عن حركة وسكون
فاذا رقب الله فى جميع حركة ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية و
مراعاة الادب وحسن الفعل فان كان قاعدا مثلا فينبغى ان يقعد مستقبلا
للقبلة لقوله عليه السلام خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا
اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه وان كان ينام فينام على اليد اليمنى
مستقبل القبلة مع ساير ما داب الى ذكرنا فى موضعها وكان فى قضاء الحاجة
فمراعاة آدابها وفاء بالمراقبة فاذا لايخلو العبد اما ان يكون فى طاعة او
فى معصية او فى مباح فمراقبته فى الطاعة الاخلاص والكمال و[illegible]

٥٦

الادب وحراسته عن الآفات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ومراقبته في المباح بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليه ولا يخلو العبد في جميع احواله عن بلية لابد من الصبر عليها ونعمة لابد من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب وجب عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه ومنزله عونا له على طاعة الله ولكل واحد من ذلك حدود ولابد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلث فاذا كان فارغا من الفرايض وقدر على الفضايل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل به فان فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون ولن ربح تنال بمزايا الفضايل فذلك اخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلثة ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله عليها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاول ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون احد انفاسه آخر فينبغي ان يكون على وجه

لايكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه
ابو ذر رضي الله عنه لا يكون للمومن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش
او لذة في غير محرم وبمعناه قال علي رضي الله عنه على العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله تعالى عليه
وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان هذه الساعة عون له على الساعات ثم
هذه الساعة لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام
فيه من العجايب ما لو تفكر وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس
فيه اقسام قسم ينظرون فيه بعين البصيرة والاعتبار فينظرون في عجايب صنعها و
كيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوات الباعثة
عليها وخلق الالات المسخرة للشهوة فيها كما فصل بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام
ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار
اليها ويودهم لو استغنوا عنها ولكنهم يرون انفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها
وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنع الصانع ويترقون منها الى صفات
الخالق فيكون مشاهدة سببا لتذكر ابواب من الفكر ينفتح عليهم بسببه وهو
اعلى المقامات وهو مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى
صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وقسم رابع ينظرون
اليها بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملة
ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبخ
والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله وان

من ذم شيا من خلق الله بغير اذن الله تعالى فقد ذم الله تعالى فهذه هي المراقبة للاعمال
على الدوام وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول
واما المجاهدة وهي ان العبد بعد ما حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية
فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات وان رآها تتوانا بحكم الكسل في شيء من الفضايل
وورد من الاوراد فينبغي ان يؤذيها بثقل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظايف
جبرا لما فات وتداركا لما فرط وهذا انما يمكن بعد المحاسبة وهي ان يحاسب نفسه
آخر النهار ساعة على جميع حركاتها وسكناتها فيحاسب اولا على الفرايض فان اديها
على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلها وان فوتها طالبها بالقضاء وان
اديها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل
بعقابها وتغريبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما انه يفتش
في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها
فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به
طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما يستولاه غيره في صعيد القيامة
وهكذا عن نظره وخواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه
وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس
وصح عنده قدر اداء الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا فيظهر له الباقي على
نفسه فليثبته عليه او يكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه
على قلبه وفي جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة
والضمان وبعضها بردعينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي

ما يستولاه الى غايه

من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء
ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر على يوم يوم وساعة ساعة في
جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن ابن الصمة انه حاسب يوما
فاذا ابن ستين سنة فحاسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم
وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى أألقى المليك باحد وعشرون الف
ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الالف ذنبا ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت
فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى وهكذا ينبغي ان
الركض دوابك اسب سكا وردر
يحاسب على الانفاس وعن معصية بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو
رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة
انسا
من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه احصيه
الله ونسوه ثم مهما حاسب فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب
خلق
تقصير في حق الله فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة
المعاصي وانست به وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها
قطع
بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة بشبهة بشهوة نفس ينبغي ان تعا
قب النفس بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب النفس بمنع النظر
وكذلك يعاقب كل عضو من اعضائه بمنعه عن شهواته ونظر بعض
السلف نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه العيش ويحكى ان حسان
بن ابى سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال
تسئلين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها ويحكى ان تميم داري

قوله عليه السلام من نظر محاسن امراة اجنبية عن شهوة صب في عينيه الآنك يوم القيمة

اي لا يشرب الماء البارد طول عمره
جبوبة ووطا ان يشرب الماء بين نفسه
على نفسه

53

نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي فاته وكان احنف بن قيس
لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك
على ان صنعت يوم كذا كذا ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل خبزا
عند افطاره بغير ملح فقال لو اكلت بالملح فقال ان نفسي لتدعوا الى الملح منذ سنة
ولا اذاق داود ملحا مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم
والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء
خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو جاوزت عنهم خرج امرهم من الاختيار
ويبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدوا لك واشد طغيانا عليك وضررك
من طغيانك اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك
معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم المقيم الذي
لا آخر له ونفسك هي التي بنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها
فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين
فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم
وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة
المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات عن ابن ابي ربيعة ركعتا
الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه وصوم سنة او الحج ماشيا او تصدق
بجميع ماله كل ذلك مرابطة النفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت
ان كانت لا تطاوعني نفسي على المجاهدة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها

ان تستمع ما ورد في فضل المجتهدين وهي انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة
عبد من عباد الله مجتهدا في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به الا ان هذا
قد تعذر اذ قد فقد في عباد الله من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي
ان تعدل من المشاهدة الى السماع فلا شي انفع من سماع احوالهم ومطالعة
اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم
ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم ملكه فما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه
اياما قلايل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد
الاباد نعوذ بالله ونحن نورد من اوصاف المجتهدين والعاملين ما يحرك به
رغبة المريد في الاجتهاد بالاقتدا بهم في آخر هذا الكتاب ان شا الله تعالى فقد قال عليه
السلام رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة
قال الله عز وجل والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا
من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه
طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف منهم
فما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل ولا يتاسفون على شي ادبر ولهي كانت
اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش
عمره كله ما طوى له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل
بينه وبين الارض شيا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام
على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة اخزتهم وسالوا [illegible]

لازموا هم

57

ان يتقبلها واذا عملوا السيئة اخرتهم فاسالوا الله تعالى ان يغفرها لهم و والله

ما زالوا كذلك وعلى ذلك ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن العبد العزيز رحمه الله

يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك

ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال سالتك بالله الا صدقتني

فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها

وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس

يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل

حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي

يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب

الفتيت قراءة خمسين اية فكان احدهم اذا بلغ اربعين طوى فراشه وكانوا

يقولون يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف

ينام بينهما وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى

ياتي على فراشه الا حبوا قال رجل من اصحاب علي كرم الله وجهه صليت خلف

علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كابة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده

وقال والله لقد رايت اصحاب محمد عليه السلام كانوا يصبحون شعثا غبرا

صفرا قد باتوا الليل سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم و

جباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم

حتى تبتل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين وقال محمد بن اسحاق لما ورد علينا

عبد الرحمن بن الاسود حاجًا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحد
حتى يصلي الصبح بوضوء العشاء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيماء الصالحين
صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم
عليهم غبرة الخاشعين وعن القاسم الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب
وكان له اهل وبنات وكان يقوم ويصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته
ايها الركب المعرسونا أكل هذا الليل ترقدونا فلا تقومون فترحلونا فيتواثبون
فيسمع من ههنا باكي ومن ههنا داعي ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا
طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقد انشدوا فيهم
نحيل الجسم مكتئب الفوادي تراه بقنة او بطن وادي ينوح على معاصي فادحات
يكدر ثقلها صفو الرقادي فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العبادي وانشدوا ايضا الذي من التلذذ بالقول
اذا اقبلن في حلل حسان اهنى في من اهل ومال يسيح الى مكان من مكان ليخمد ذكره
ويعيش فرحا ويظفر العباد بالاماني تلذذه التلاوة اين ولي وكره بالفواد
وباللسان وعند الموت ياتيه بشير يبشر بالنجاة من الهواني فيدرك ما اراد
وما تمنى من الراحات في غرف الجناني وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم
ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك
فقال كم عمر الدنيا قيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون
الف سنة كيف يعجز احدكم ان يعمل سبعة الاف سنة يوما حتى يامن من ذالك
يعني انكان عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد

قال حفص البطون من الطوى ليبس الشفاه اي من الظماء
قالوا وما سيماء وجوههم قال صفر الوجوه من السهر... قال وجسم الذي يعيش بعرق
لانه... العيون... للدمع... معلوف

عليل الجسم

فقال ح

كان مقدارة خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرًا وكنت بالرغبة فيه جديرًا فكيف وعمرك
قصير والاخرة لا غاية لها وهكذا كانت سير السلف الصالحين فمهما تمردت
نفسك عليك وامتنعت من المجاهدة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الان
وجود مثلهم فان لم يكن ابل فعزا وخير نفسك بين الاقتداء بهم وهم العقلاء والحكماء
وذو البصاير في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترض لها
ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبيه بالاغبياء وتوثر مخالفة العقلاء فان
حدثتك نفسك ان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال
النساء المجتهدات وقل لها الا تستنكفين يا نفسي ان تكون اقل من امراة فاخسس
برجل يقتصر عن امراة في امر دينها كانت الحبيبة العدوية اذا صلت
العتمة قامت على سطح لها وشدت درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم
ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك
ثم تقبل على صلوتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا
النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا او رددتها علي فاعزى و
عزتك هذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته
لما وقع في نفسي من جودك وكرمك قال يحيى بن اسباط كنت اشهد مجلس
شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو
اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها واقتصرت عن هذا البكاء
فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لو رفقت بنفسك او اقصرت

كن بلا

عن هذا البكاء شيئا فكان ذلك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لو
وددت ان ابكي حتى تنفذ دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من
جوارحي ولاتى لي بالبكاء فلم تزل تردد ذلك والبكاء حتى غشي عليها قالت
امراة من المتعبدات رايت في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام
على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى
هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت اختي ولله قالت فبينا انا كذلك
اذ اقبلت بها على نجيبة يطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت اختي اما ترين
مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي فقالت لم يان لقدومك
ولكن احفظ عني اثنين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى
مت وقال عبد الله بن الحسين كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت
في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا
هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي
ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام
وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام كانت بريرة متعبدة فكانت تكثر القراة
في المصحف فكلما اتت اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل حتى ذهبت عيناها من
البكاء فعذلها بنو عمها في كثرة البكاء فقالت ان يكن لعينيتي عند الله خير
فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسا يزيدهما بكاء اطول
من هذا ثم اعرضت فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شي غير ما نحن فيه وكانت
معاذة العدوية اذا جاءها النهار تقول هذا يوم الذي اموت فيه

قالت ومن هذه المراة فقال امراة سوداء من اهل الايلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي لعمري وكان موضعها من الجنة الا قرب الى العرش

رابعة

56

حتى تمسى فاذا جاءت الليلة يقول هذه الليلة التى اموت فيها فتصلى حتى تصبح
وقال ابو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت
انا فى ناحية من البيت فلم تزل قايمة الى السحر فلما كان السحر قلت لها ما جزاء
من قوانا على هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وقال الخواص دخلنا
على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت
حتى اقعدت وكانت يصلى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو
ليهون عليها الامر فشهقت ثم قالت علمى بنفسى قرح فوادى وكلم كبدى
والله لوددت ان الله لم يخلقنى ولم يك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلوتها
فعليك ان كنت تريد ان تكون من المجاهدين ان تطالع احوال الرجال والنساء
من المجتهدين والمجتهدات ليبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك
ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطيع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل
الله وحكايات المجتهدين والمجتهدات غير محصورة فعليك بمطالعتها
فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما نيسر الخير فى ذلك الزمان
لكثرة الاعوان والان فان خالفت اهل زمانك رواك مجنونا وسخروا منك
فوافقهم فيما هم عليه ولا يجرى عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك
ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل
عارف يغرق اهل البلد وثبتوا على موضعهم ولم ياخذ واحد منهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقد قدرت انت على ان تفارقهم وتركبين سفينة تنجو بها

من الغرق فهل يختلج في قلبك ان المصيبة قد عمت طاب ام تترك موافقتهم وتستجهلهم
في صنعهم فتاخذ حذرك مما دهاك فان كنت تترك موافقتهم خوفا من
الغرق وعذاب الغرق لا تتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد
وانت متعرض له في كل حال ومن اين تطيب للمصيبة اذا عمت ولاهل النار
شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم تهلك الكفار الا
موافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وتحملها على الاجتهاد فاستعصت
ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها بسوء نظرها لنفسها فعساها
تنزجر عن طغيانها وهذا ايضا علاج للمجاهدة نافع جدا توبيخ النفس
ومعاتبتها اعلم ان اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة
بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها
وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها
وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعده
وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك من
اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعو
الى ان تدخلي ولا تشتغل بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله
الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك وان اتعظت فعظ الناس والا
فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وسبيلك ان
عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها وغباوتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها

وهدايتها ويشتد انفها وانتكانها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم
جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا
اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما على القرب
فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم
وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترى الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين
ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما هو ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي
بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شتاء دون
صيف ولا صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي
في صبي دون الشباب وفي الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن
ان يكون فيها الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي
الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تدبرين
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس
ان كانت جراتك على معصية الله تعالى لاعتقادك ان الله تعالى لا يراك
فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك
ويحك لو واجهك عبد من عبيدك او اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان
غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه
اتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذاب

معرضون يعني جاحدين مكذبين وهم كفار مكة ومن كان مثل حالهم ثم نعتهم فقال الى الاخره بياني في ياتيهم جبريل بالقرآن والمحدث بيان جبريل بالقرآن من بعد مرة وقراءة

فاحبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار لتبينلك
قدرطاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك
وعبادتك فعالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك
فاذا اقصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله
تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي
الا بالدينار والدرهم مالك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من
وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى يعثر بك على كنزا وتسليط
عبد من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين
ان الله تعالى كريم في الاخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل
لها وان رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى
ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان
بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك لم يقل لك سيدك ومولاك
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في الامر الاخرة
وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة
وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تكالب
على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك
فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات
لو كان الايمان باللسان فلما كان المنافقون في الدرك الاسفل من
النار

ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت
وهيهات اتحسبين ان تتركين سدى الم تكن نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة
فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا اضمارك
فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك
ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله تعالى ثم
اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك
ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت
عنه فتركته وجاهدت نفسك فيه اوكان قول الانبياء المؤيدين
بالمعجزات وقوله تعالى في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول
يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب
انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير
مطالبة ببرهان ودليل اكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة
الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او صار حر
جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها
وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمه الا يوما
او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهايم حالك لضحكوا
منك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما
لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعلك يختطفك من غير مهلة

فيما اذا آمنت استعجال الاجل وهب انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين
من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت
ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا
يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين
من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب
الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله ثم هب ان الجهد في آخر العمر نافع
وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه وان
اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له
سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما
ياتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله لك قط ولا يخلقه فلا تكون
الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره خفيفة على النفوس هذا محال
وجوده اما تتاملين منذكم تعدين نفسك وتقولين اليوم وغدا وقد جاء الغد
فكيف وصار يوما كيف وجدته اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم
الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة
كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد لقلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان
كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة
تزيد الشجرة قوة وتزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر قط
في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل

٥٩

فاذا حق وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فمالك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين انما يمنعني من الاستقامة الحرص على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فما احمقك واشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدايمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار اليه الطبيب بترك الماء البارد ثلثة ايام ليصح ويتهيا لشربه طول العمر واخبره انه ان شرب مرض مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء الشهوة ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر او يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثماية يوم وثلث الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة والم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم العذاب وما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب

اما الحمق الجلی فاعتمادک علی کرم الله تعا وعفوه واستغنائه عن عبا
دتک مع انک لا تعتمدین علی کرمه فی لقمة من الخبز وحبة من المال وبهذ الجهل
تستحقین لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حیث قال الکیس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع هواها وتمنی
علی الله ویحک یا نفس لا ینبغی ان تغرنک الحیوة الدنیا ولا یغرنک بالله
الغرور فانظری لنفسک فما امرک مهما لغیرک ولا تضیعی اوقاتک فالانفاس
معدودة فاذا مضی منک نفس فقد ذهب بعضک فاغتنمی الصحة
قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنی قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحیوة قبل الموت واستعدی للآخرة علی قدر بقائک فیها نفس اما
تستعدین للشتاء بقدر طول مدته فتجمعین له القوت والحطب واللبد
والجبة ولا تتکلین علی فضل الله وکرمه حتی یدفع عنک البرد من غیر جبة
ولبد وحطب فانه قادر علی ذلک افتظنین ان زمهریر جهنم اخف بردا
او اقصر مدة من زمهریر الشتاء ام تظنین ان العبد ینجو منها بغیر
سعی هیهات کما لا یندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسایر الاسباب
فلا یندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحید وخندق الطاعات
وانما کرم الله تعا فی ان عرفک طریق التحصن ویسر لک اسبابه لا فی ان یدفع عنک العذاب دون حصنه کما فی ان کرم الله تعا فی دفع برد الشتاء
ان خلق النار وهداک طریق استخراجها من بین حدید وحجر حتی تدفع
برد الشتاء عن نفسک کما ان شری الحطب والجبة مما یستغنی عنه خالقک ومولاک

اذ هو صنو الملق بلا ذلک

تشتريه لنفسك اذ جعله سببًا لاستراحتك وطاعتك ومجاهدتك ايضا هو
يستغنى عنها وانما هو طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء
فعليها والله غني عن العالمين ويحك مما اراك الا الفت الدنيا وانست
بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مفارقتها وتوكدين في
نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله تعالى وثوابه عن احوال
القيامة واهوالها فانت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين ما محابك
افترى ان من دخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى
وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته
اهو معدود من العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار الملك الملوك
وما لك فيها الا المجاز وكلما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك
قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب
ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك
مجزى به اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت
من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك
وهو لا يدري او ما تنظري الى الذين مضوا وكيف بنوا وعلوا
ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف
يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد
قصرًا مرفوعًا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض وهل في الدنيا

حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا
ويخرب آخرته وهو صاير اليها قطعا اما تستحيين من مساهمة هولاء على [خ: من مشاهدة]
حماقته واحسب انك ذي بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميل بالطبع الى التشبه
والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هولاء المكبين على الدنيا
واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل
والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين
عن هذه الامور الواضحة الجلية يا نفس ولعلك اسكرك حب الجاه وادهشك عن
فهمها او ما تتفكرين في ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسب
ان كل من على وجه الارض ممن سجد لك واطاعوك اما تعرفين انه بعد خمسين سنة
لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان
لا يبقى ذكرك وذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين من قبلك وهل تحس منهم من
احد او تسمع لهم ركزا وكيف تبيع ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة
ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت
لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويابى لك ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك
امر محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما
لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة
فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بالدنيا
ان ساعدتك فلا يخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها وتزيدون عليك
موافقة

في نفيهما وزينتها فان الدنيا يسبقك بهنائها هولاء الاخساء فما اجهلك واخس ميتتك
واسقط رايك اذ رغبت عن ان يكون في زمرة المقربين من النبيين والصديقين في جوار
رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال في غمار الحمقى الجاهلين اياما قلايل
فياحسرة عليك اذ خسر الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس قد اشرفت على الهلاك
واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد
الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ثم لك الا اياما معدودة وهي بضاعتك
انما تجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها
لكنت مقصرا في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين
ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين
يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك قد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان
المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة
الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم
بالدنيا بحذافيرها لاشتروها لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك ويحك يا نفس اما تستحيين
تزيّنين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظايم فتستحيين من الخلق ويحك اهو
اهون الناظرين عليك اتامرين الناس بالبر وانت متلطخة بالرذايل تدعين الى الله
وانت فارّة منه وتذكرين الله وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب انتن
من العذرة لا يطهر غيره فلا تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة في
نفسك اما تعلمين يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس بلاء
الا شؤمك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث

واستنزرت
ولا تستحي من الخالق
فغير سين
لا يصيبهم

يريد ويسخر منك ومع هذا فتعجبين باعمالك وفيها من الآفات ما لو نجوت منها
راسًا براس لكان الربح في يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد
لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي الف سنة واخرج آدم
من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك
ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي
ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين
ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة
عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرًا وبنوا شديدًا
واملوا بعيدًا فاصبح جمعهم بورًا وبنياهم قبورًا واملهم غرورًا ويحك
يا نفس اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الآخرة
وانت من الخالدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في
هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك
فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي
ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك سود الالوان كلح الوجوه ببشرى
العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء و
والعجب كل العجب منك يا نفس انك مع هذا كله تدعين البصيرة والفطنة
ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك
وما نفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك
وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يومًا لم يستكمله وكم
من مؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك

62

وجيرانك وترين تحيّرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري
يامسكينة يومًا الى الله تعالى فيه على نفسه ان لا يترك فيه عبدًا امره في الدنيا
ونهاه حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله وسره وعلانيته فانظري يا نفس
باي قلب تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدّي للسوال جوابا وللجواب
صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار
حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا
خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات
الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم
لا يشعر يضحك وياكل ويشرب ويفرح وقد حق له في كتاب الله انه من
وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا
ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكن ممن يعجز عن شكر ما اوتي
ويبتغ الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا
للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به
وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض
عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان
كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام
فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم
تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه

للخشوع التذلل
الخشوع اصله التذلل وكذلك
الخضوع وفرق بعض اهل
اللغة بين الخشوع والخضوع قال
الخضوع في البدن خاصة والخشوع
يكون في البدن والصبر والصوت
قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن
وقال خاشعة ابصارهم الاية

عمران بن حصين

ان اقل ساكنة الجنة النساء الحديث يعني من يموت منهن بسوء الخاتمة
يكون كثيرا فيدخلن جهنم بسبب جهلهن وقلة مبالاتهن بامر
الدين واقترافهن الذنوب بسبب حسنهن والخروج والبروز
وترك التستر وخيانتهن على ازواجهن واغترارهن واكبا
بهن على الحلل والحلي ونسيانهن الاجل لان ازواجهن يمنعون
عن حضور مجالس العلم وهم لا يعلمون وقال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الاية وان سألت احداهن عن
الايمان واركان الصلوة وشروطها وما يجب عليها من الفعل والترك
لا تعرف ومما يجب عليهن من تركه كفران حقوق الازواج
على نعمتهن فانهن ابدا تستقلل اياها ومما يتكلمن كثيرا للتلفظ
بالفاظ الكفر فتقع الفرقة من ازواجهن وتبطل اعمالهن وما يقع
بينهن وبين ازواجهن قبل تجديد النكاح يكون زنا وما يلدن
يكون ولد زنا وما يتكلمن بسبب جهلهن ارضاع ولد بناتهن فان العلما

اختلفوا فعند البعض يطلق بتة من زوجها
ومما يتكبن بسبب جهلهن تقبيل ابناء ازوا
جهن او تمكينهن من القبلة فانها تحرم
تحريما مؤبدا الزوجها وتحسبه هينا وهو عند الله
عظيم ولا يعلمن ذلك ازواجهن ويرض
ين بالزنا ولا يعذرن بالجهل وما يلدن
بعد ذلك ولد زنا ولا يعلمن ما على تارك
الصلوة والزكوة من الاثم والعذاب ويتركون
ومن لا يتركهما لا تتعلم ولا يهتم بشرايطهما
واركانهما فيدخلون جهنم والتى دخلت
بسبب الكفر تخلد فيها ه ه ه ه ه ه

63

والتنبيه عليه وانه قد تراكمت ظلمات الذنوب على ظاهره وباطنه فوطن نفسك
على النار فان لم يبق فيك مجال الوعظ فاقنط من نفسك والقنوط كبيرة
من الكباير نعوذ بالله منها فلا سبيل الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجا
مع انسداد طريق الخير عليك فان ذلك اضطرار وليس برجا فانظر
الآن هل يأخذك حزن على هذه المعصية التي ابتليت بها وهل تسمح
عينيك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فسيستقي الدمع من بحر الرحمة
فقد بقي فيك موضع للرجا فواظب على النياحة والبكاء واستغث بارحم
الرحمين واشتكى الى اكرم الاكرمين وادمن الاستغاثة ولا تمل طول
الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك
قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك
العلل ولا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجا ولا منجا
الا الى مولاك فافزع اليه بالتضرع واخشع في تضرعك على قدر
عظم وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف
ويجيب دعوة المضطر وقد اصبحت والله مضطرة الى رحمة الله تعالى
محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت
منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب
منه كريم والمسئول عنه جواد والمستغاث به رءوف والرحمة واسعة والكرم
فايض والعفو شامل للمتبتل الباكي وللمتضرع التايب الصادق

وقوطي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر
انا الجرئ الذى لا اقلع انا المتمادى الذى لا استحى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير
والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتى وفرجى وارنى آثار رحمتك وارزقنى برد
عفوك ومغفرتك وارزقنى قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتداء بابيك ادم عليه السلام
فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل ادم الى الارض من الجنة مكث
حولا لا ترقى له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه فى اليوم السابع وهو محزون
كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه يا ادم ما هذا الجهد الذى اراك قال
يارب عظمت مصيبتى واحاطت خطيئتى واخرجت من ملكوت ربى فصرت فى
دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد
الراحة وفى دار البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار وفى دار الموت
والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكى على خطيئتى فاوحى الله عز وجل اليه
يا ادم الم اصطفيك لنفسى واحللتك دارى وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطى
الم اخلقك بيدى ونفخت فيك من روحى واسجدت لك ملائكتى فعصيت امرى
ونسيت عهدى وتعرضت لسخطى فوعزتى لو ملأت الارض رجالا كلهم
مثلك يعبدوننى ويسبحوننى ثم عصونى لانزلتهم منازل العاصين فبكى ادم
عند ذلك ثلثمائة عام فكان عبد الله البجلى يقول فى بكائه طول ليله الهى انا
الذى كلما طال عمرى زادت ذنوبى انا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت
لى شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تزل صاحبها فى طلب اخرى واعبيداه
ان كانت النار لك مقيلا ومأوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك نهتا و
واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وكان عابد...

كثير البكاء البجلي بيان

الكوفة يناجي ربه في بعض الليالي كان يقول في اثناء مناجاته الهي عصيتك
بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني او بحبل من اعتصم
ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل
للمخففين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخففين اجوز ام مع المثقلين
احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم اتوب
وفي كم اعود اما آن لي ان استحي من ربي فهذه طرقهم في مناجات مولاهم وفي محاسبتهم
وتوبيخ نفوسهم فان مطلبهم من المناجات الاسترضاء ومقصدهم من التوبيخ تنبيه
والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجات لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون
الله راضيا **ومنها** ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين
هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم اليقين اعني
اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال عليه السلام تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين
واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل
من اليقين خير من كثير من العمل وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل به
على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى
قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان من لا تفهم صورته
لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان بمعنيين اما النظار
والمتكلمون فيعبرون به عدم الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة
واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى الاستيلاء والغلبة
على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان قوي اليقين

في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس
الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو
المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك
في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه
ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له فكانه غير مو
قن به وفيهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد
له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين
ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من
الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن
اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين
المعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب
المتحكم وهو المتصرف فان قلت فما متعلقات اليقين ومجاريه و
فيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه
فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين
فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت
بها الشرايع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن
ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا تلتفت
الى الوسايط بل ترى الوسايط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مومن
فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد
فان غلب على عقله غلبة ازال منه الغضب على الواسط والرضا عنهم والشكر

ونزّل الوسايط في قلبه بمنزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا
يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين واسطتين فقد
صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه
وفايدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات
والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخر القلم في يد الكاتب
وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضاء والتسليم
وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب
اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق في قوله تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك يأتيه وان
ما قدر سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب
ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين
ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه
ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب
كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم
والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ
قليله وكثيره وكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب
قليل السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين
بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص

به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات
والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان
الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعا مطلع عليك
في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك
وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بمعنى
الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان
يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كما سكا محترزا عن كل حركة يخالف
هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ
يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون
مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد
من مبالغته في تزيين ظواهره لساير الناس وهذا المقام يورث الحيا
والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق
المحمودة وهذه الاخلاق يورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين
في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كا
الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري والكثر متاعوده
وذلك مذكور في ربع المنجيات فليطلب منه وهذا القدر كاف في تفهيم
معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا
يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه
وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا الله وكان صورته
دليلا على علمه فالجواد عينه فراره فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة

(Marginal notes: وكل حال من الاحوال وفي جميع الاعمال والطاعات الصادرة عنه من الاغصان ... ابواب ... العلم الثاني)

66

والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع
في سكينته فهي لبسة الانبياء وسيماء الصديقين والعلماء واما التهافت
في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة والحركة والنطق فكل ذلك
من اثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه
وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان
العلماء ثلثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام الله وهم
المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله
ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون
والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته
الغامضة ونقمه الباطنة التي افاضها على القرون السافلة واللاحقة
فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه
تعلموا العلم والسكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع
لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم
بجهلكم ويقال ما اتى الله عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا وحسن
خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي اثر من اتاه الله علما وزهدا
وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي
قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه
ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم
في الاخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم

وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من
طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه مقيت في السماء والارض
وروى في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا
في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات
الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم
الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل
وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى اليه قل له الان وافقت رضاي قال
علي اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب
وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع للمتعلم
ثلاث تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع للمعلم
ثلاث تمت النعمة على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة
فالاخلاق التي ورد بها القران لا ينفك عنها علماء الاخرة لانهم يتعلمون
القران للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان
احدنا يؤتى الايمان قبل القران وتنزل السورة فنعلم حلالها وحرامها
وامرها وزاجرها وما ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري
ما امره ومن زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر اخر
بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان
قبل القران وسياتي بعدكم قوم يؤتون القران قبل الايمان يقيمون
حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرانا فمن اقرا منا ويقولون
احلم

67

علمنا فمن اعلم منا ونزل كل حظهم وفى لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة
وقيل خمس من الاخلاف هى من علامات علماء الآخرة مفهوم من
خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة
على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية واما
الزهد فقوله تعالى فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولما تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف
فى القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم
التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه فى علم الاعمال
عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان
اصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر
لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان
الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله بالقلب

واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها وهذا انما يكثر شعبه
ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مس الحاجة اليه
ويعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم
يتبعون غرايب التفريع في الاقضيه والحكومات ويتعبون
في وضع صور تنقضي الدهور ولا يقع وان وقع ذلك فانما يقع
لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القايمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم
ويتكرر عليهم اناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما
ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا
للقبول والتقرب الى الخلق على القرب من الله تعالى وشرها في ان
تسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقايق وجزاؤه
من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل ينكدر عليه صفوه بنوايب الزمان
ثم يرد القيمة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين
وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما
بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابه اتفقت الكلمة في حقه على ذلك
وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس وصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد
قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لم يسمع من غيرك فمن
اين اخذته فقال من حذيفة اليماني وقيل لحذيفة نراك تتكلم
بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني

68

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسالونه عن الخير وكنت اساله
عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت
ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون
يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسالونه عن فضايل الاعمال وكنت
اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسال عن آفات الاعمال
خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة
علم النفاق واسبابه ودقايق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة
يسالونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيخبر
باعداد من بقي ولا يخبر باساميهم وكان عمر رضي الله عنه يساله عن
نفسه هل تعلم بي شيئا من النفاق فبراه من ذلك وكان عمر
اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان
يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله هو
داب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار
هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب
واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون
التحقيق في دقايق المجادلات لقد صدق من قال شعر الطرق شتى
وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد لا يعرفون
ولا يدرون مقصدهم فهم على مهل يمشون قصاد والناس
في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد وعلى الجملة لا يميل

اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مرٌّ الوقوف عليه
صعبٌ وادراكه شديدٌ وطريقه مستوعرٌ لا سيما معرفة صفات القلب
وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع على الدوام وصاحبها
يتنزل منزلة شارب الدوا ويصبر على مرارته رجاء الشفاء ويتنزل
منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدايد ليكون فطره عند
الموت ومتى تكثر الرغبة فى مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان فى
البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير ولم يكن من
يتكلم فى علم اليقين واحوال القلب وصفات الباطن الا ثلثة مثل
سهل التسترى والصبحى وعبد الرحمن وكان يجلس الى اولئك الخلق
الكثير الذى لا يحصى والى هولاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة
لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره
قريب ومنها ان يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء
قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صا
حب الشرع صلوات الله فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من
حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول صلى الله عليه وسلم ثم قلد صا
حب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى اقواله وافعاله بالقبول فينبغى ان يكون
حريصا على فهم اسراره وانما المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول عليه
فعله فالرسول لم فعله لابد ان يكون لسر فينبغى فيه ان يكون شديد
البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء
للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى
عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف
الى

69

عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعًا مقلدًا افلا
ينبغى ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من احد الا يؤخذ من
علمه ويترك الا رسول الله وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا
على ابى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعًا وقال بعض السلف
ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الراس والعين و
ما جاءنا عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال
فنحن رجال وانما فضل الصحابة بمشاهدتهم قراين احوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورًا ادركت بالقراين
فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة اذ فاض
عليهم من نور النبوة ما يحرسهم فى الاكثر عن الخطاء واذا كان الاعتماد
على المسموع من الغير تقليدًا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف
ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمان الصحابة
وصدر التابعين وانما حدثت بعد مائة وعشرين من الهجرة وبعد
وفاة جميع الصحابة وجلة اعظم التابعين سعيد بن المسيب والحسن وخيار
التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب
لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضى الله عنه
وجماعة من الصحابة تصحيف القران فى مصحف وقالوا كيف نفعل
شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس

وعن القرآن وعن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ

على المصاحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء
ليكون هو شغلهم وهمتهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة بكتب القران خوفا من تخاذل
الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او
قراة من المتشابهات فان شرح صدر ابي بكر رضي الله عنه لذلك جمع القران في مصحف
واحدة وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول لا تبدع بدعة
مالم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف
التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد
الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ابوابا ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس
ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدث مصنفات الكلام وكثر الخوض
في الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ
بها فاخذ علم التدين في الاندراس من ذلك الزمان وصار بعد ذلك يستغرب علم
القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون
وصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة
عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن
غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة
هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح
علم الاخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا على الخواص منهم كان
اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما
فكان الخواص يعرفون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن

75

برما كان وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى
ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت **ومنها** ان يكون شديد التوقى
محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنا طباق الخلق على ما احدث
بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم
واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم الان فى التدريس والتصنيف والمنا
ظرات والقضاء والولاية وتولى الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخا
لطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة او فى الخوف والحزن والتفكر
والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليه
والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان
الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان
واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ
الدين ولذلك قال على خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت
فلانا فلا ينبغى ان تكترث بمخالفة اهل العصر فى موافقة اهل عصر
رسول الله فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه بميل طباعهم اليه
ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا
انه لا سبيل للجنة سواه ولذلك قال الحسن لمن رأى مثل رأيه ومحدثة
يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار
وان رجل اصبح فى هذه الدنيا بين مبترق يدعوه الى دنياه صاحب
هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله منهما يحن الى السلف الصالح

عمل بان احدث بان فى الاسلام رجل ذو رأى زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه

اى رجل قد عصمه الله

يسال عن فعالهم ويقتص اثارهم متعرض لاجر عظيم فكن لك فكونوا
وقد روى عن ابن عباس مسعود موقوفا او مرفوعا انه قال انما هما اثنان
الكلام والهدى فاحسن كلام الله واحسن الهدى هدى محمد رسول الله الا واياكم
ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدث بدعة وان كل
بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامل فيقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب
الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي عليه السلام طوبى لمن شغل
عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخا
لط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت
سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله
وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن
مسعود يقول حسن الهدى في اخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان
خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف
لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما
هم عليه وخاض فيما خاضوا وهلك كما هلكوا فقال حذيفة اعجب من هذا
ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى
وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به
ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة
اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجنيدها وانفاق
الاموال العظيمة في دقايق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد

٦١

كان يقعد ويرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه محدثات
الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا
وكذلك الاشتغال بدقايق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان
ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين
في الاذان والقرآن ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة
في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع
التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير ذلك ولقد صدق ابن مسعود
حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم
زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا
على الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك ابن انس لم يكن
الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن
العلماء يقولون حرام وحلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا
ينظرون في دقايق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهر
وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد
اعدوا له جوابا ولكن سالوهم عن السنة فانهم لا يعرفون بها وكان
ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيا من الخيرات يعمله حتى
يسمع به الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما
ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب

فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا
لما احدث مروان ان المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد
الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انه ليس ببدعة هي خير
مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله
لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس
او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في امرنا هذا ما ليس
فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين قيل يا رسول الله ما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس
عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله
لم ينله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة
الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر
الملك في خدمة معينة فذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا وقال بعض
العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف
فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن
وقف معه اكتفى قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع
اليه الغالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة
في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا
وقال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكلما احدث بعد الصحابة ما جاء
على متابعة اهوائهم

قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو حكي عن ابليس لعنه الله انه بث
جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما رأينا
مثل هولاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا
نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم
فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب
من هولاء نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا
بالاستغفار فتبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيئا لصحة
توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هولاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون
بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون
فتبدل سياتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولي فبث فيهم الاهواء وزين
لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط
عليهم الاهواء وقادتهم اين شاؤا فان قلت من اين عرف قايل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد
ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة
على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل
الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون
في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز
حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول
والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله بالكلية ومن انكر
ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين

لما قال الفقير ترك في العقوبة فياني الطاعات نتركه فلا كشف عذاب عليهم الاحتجاب والاحسن جواب ولا برد شراب ولا اكرمين الخطاب ولكل جزاء من لم يعرف قدر الصلة في اوقات المهملة. تفسير ٥

وفي تفسير المثنا
فهلت ان اهل النار ينادون اهل الجنة باسماءهم فيناوي الرجل اباه وامه واخته بنعوات النار قد احرقت ابصارنا ان النار قد اصمت اسماعنا ان النار قد انضجت جلودنا ان النار قد اطلعت على قلوبنا وانا خرجنا من الدنيا عطاشا وسكنا القبور عطاشا وخرجنا من القبور عطاشا وقطع العطش اليوم حلوقنا فافيضوا علينا من الماء الآية تيسير ٥

انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى
علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل
التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة
وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول
لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع فيما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد
حالا من الجهال المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب
وهذا الجاهل الظان انه عالم وانما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا
من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب
هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي
الحتياط العزلة والانفراد عنهم كما ذكر في كتاب العزلة ولذلك كتب يوسف بن اسباط
الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله معه الا كان آثما وكانت
مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله وقد صدق فان مخالط الناس لا ينفك عن غيبة
او سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد لو تأمل علم ان المستفيد
انما يريد ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا
وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير
كصلاح السيف للغزو ولذلك لم يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة
به على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامات من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحد
منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا
بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين

73

وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين ونلحق بجهلك وانكارك بزمرة

الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجمهور

فنسال الله ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

ثم اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كماله في اقتناء الاموال اذ لصاحب

حب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به

غنيا عن السؤال وحال انفاقه على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل

لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال

فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار

وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال

فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس

تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب وهو طيب والذي يعلم

ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي

يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو الناس وهي عارية ولكن كسا

الناس عن عري وعورته للناس بادية ثم ان يواريها وكذبالة المصباح

تضيء لغيرها وهي تحترق وكالصخرة للصلد الذي يمر به الماء فلا ينتفع

هي به قال ابو بكر بن احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمة الله

عليه في كتاب اقتضاء العلم العمل عن مالك قال قرات في التوريه ان العالم

اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا

وانشد اعمل بعلمك تغنم ايها الرجل لا ينفع العلم ان لم يحسن العمل

يواريها بيان

كما هو حال الابرة وقيل الناس ومن تلبس والذي يحترق

والعلم زين وتقوى الله زينته ٭ والمتقون لهم في علمهم شغل ٭ وحجة الله يا ذا العلم
بالغة ٭ لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل ٭ تعلم العلم واعمل ما استطعت به ٭
لا يلهينك عنه اللهو والجدل ٭ وعلم الناس واقصد نفعهم ابدا ٭ اياك اياك ان تعتاده
كالملل ٭ وعظ اخاك برفق عند زلته ٭ فالعلم يعطف من يعتاده الزلل ٭ وان
تكن بين قوم لا خلاق لهم ٭ فامر عليهم بمعروف اذا جهلوا ٭ فان عصوك فراجعهم
بلا ضجر ٭ واصبر وصابر ولا يحزنك ما فعلوا ٭ فكل شاة برجليها معلقة ٭ عليك
نفسك ان جاروا وان عدلوا ٭ ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما
وخطرا جسيما فليحفظ ادابه ووظايفه وليكن ذلك من جملة اوراده

الوظيفة اولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه

قال النبي عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذ
هم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما صار حق المعلم اعظم من — من نار الدنيا ولذلك صح
حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية ولولا العلماء
وتعليمهم لساق ما يحصل من جهة الاب الى هلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد
للحيوة الاخروية الدايمة اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد
الاخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك
نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا
على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان
مقصودهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم
الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون

اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق
في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف
والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلا جرم لا يكون بين
ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادة الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزا
حم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله
انما المؤمنون اخوة داخلون في مقتضى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين الوظيفة الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع فلا
يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى
وطلبا للمرضاة وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت
المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان يتقرب الى الله بزراعة
العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها
تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك بالتعليم اكثر من
ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر
الا من الله تعالى وقال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا
خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف
النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه
وتعلمه بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك
هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر
مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم
وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه

الى الفردوس الاعلى

يوم القيامة

من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فهم يبذلون المال والجاه ويتحملون
اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم
يختلف اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نايبة وينصر وليه ويعادي
عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه
ثار عليه وصار اليه من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه
المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا
الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات
الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيا وذلك بان يمنعه
من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه
على ان طلب العلوم القرب من الله دون الرياسة والمباهات والمنافسة ويقدم
تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما
يفسد فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه
فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتوى في الخصومات والاحكام
فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم
لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون
يشتغلون به وعلم الاخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه
الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع
ولكن يتنبه في اثناء الامر واخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة
وذلك يوشك ان يرده الى الصواب بالاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه

75

مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع فى هذا العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة تفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة فى القلب وغفلة عن الله وتماديا فى الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمة او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفيان الثورى رحمه الله وقد روى حزينا ما بالك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا

الوظيفة الرابعة

وهى من دقايق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبى عليه السلام وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيئ وينبهك على هذا قصة ادم وحوا ما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية الى استنباط معانى ذلك فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العمل ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة

ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغى ان يقبح فى نفس

المتعلم العلوم التي وراءه فانه خلق مذموم للمعلمين وينبغي ان يجتنب بل
المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان
متكفلا بعلوم فينبغي ان يرعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة
الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه
ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر حيث
قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على
قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي
عليه السلام ما احد يحدث الناس بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة
على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو
وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان
يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا
للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر
في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير
ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم
منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء
عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك
اللجام واذهب فان جاء من يفقهه فكتمته فليلجمني وقول الله ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى
وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق

شعر

فمن منح الجهال علماً اضاعه   ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللايق به فلا يذكر له
ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش
قلبه ويخيل اليه البخل اذ يظن كل واحد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو
راض عن الله في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله
وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقايد المذكورة
الماثورة عن السلف من تشبيه ولا تاويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله اكثر
من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلي وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات
الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه
وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام
في حقايق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وما نصح وتكلم به وما
يفسدها وما يكره فيها وتعليم الامانة في الصناعة التي هو بصددها ويملأ قلوبهم
من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا تحرك عليه شبهة فانه
ربما تعلق بعنق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى فيهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح
للعوام باب البحث فانه يتعطل عليهم صناعتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة ويكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان
العلم يدرك بالبصاير والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم
منع الرشد وكل من يتناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به
واتهموا وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذ لما كان يستاثر به ومثل العالم

من المتعلم مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينقش الطين
بما لا نقش فيه وكيف استواء الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه
عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر اذ يزل
بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر
من عمل بها ولذلك قال علي رضى الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك
وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه فاذا
فاذا علمت ذلك وفهمت ما ذكرنا لك كله من فضيلة العلم وتمييز علم الآخرة
عن غيره وعلماء الآخرة عن علماء الدنيا وما ينبغي ان يتصف بها علماء الآخرة
من صفات المحمودة ومن الاداب مع المتعلمين منهم فاعلم ان الاولى
للعالم في ترتيب اوراده ان يقسم اوقاته كالعابد فان استغرق الاوقات
في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع
الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرنا في الورد الاول وبعد الطلوع
الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل
الآخرة ولكن ذلك لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صح
ولا ينبغي ان يغتر بقول سفيان رحمه الله تعلمنا العلم لغير الله فابى
العلم لغير الله ان يكون الا لله فانظر الى اواخر اكثر العلماء فاعتبرهم
انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين
عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة فلقد صدق ابو سليمان
الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك

فساد كبير عالم متهتك * واكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة للعالمين عظيمة * لمن بهما في دينه يتمسك

منهم مالٌ ولاجمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا
غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك
خطيبا ام اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك
فما غرضهم العلم بل المال والجاه وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا
في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك
ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرون حقا واجبا لديك ويعرضون
عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم
وخادمهم ووليهم وتنهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل مهاجرة العامة مروة
تامة فهذا معنى كلام ابو سليمان وان خالف بعض الخواطر وهو حق
وصدق فانك ترى المدرسين في رق دايم وتحت حق لازم ومنة
ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا
عليه وربما لا يختلف اليه مالم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس
المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب
السلاطين فيقاسي الذل والشدايد ومقاسات الذليل المهين حتى يكتب
له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه
ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده
عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون
ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مقادير الفضل

والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء با
لسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم
في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء
تمنيه نفسه بالاباطيل وتدليه بحبل الغرور وتقول له لا تفتر عن صنيعك
فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله وناشر
علم الدين وقايم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين
لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم
فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادني
تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين
ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحرام والحلال فتلحظهم اعين الجهال
ويستجرؤن على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واتقياء لاثارهم ولذلك قيل
ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء
فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء
فاذا ان لم يجد عنده من يستفيد علما لاجل الاخرة فيشتغل الداء الدفين
الذي ليس له بنفسه والبيترك التعليم واليصرف ذلك الوقت اعني ما
بعد طلوع الشمس الى الضحوة الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم
الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر والفكر وقبل الاشتغال
بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة الى العصر للتصنيف
والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال

النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه ومن
تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل الى
الاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس
في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده
الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتب وورده الرابع بعد
العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فالمطالعة والكتب بعد العصر
يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور
القلب في الجميع واما بالليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي اذ كان يقسم
الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة وتربية العلم وهو الثلث الاول وثلث للصلوة
وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف
ربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما استحب للعالم في تعذيب
اخلاقه وترتيب اوراده الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاعتزال
والاستغراق الاوقات بالاذكار والنوافل فان المعتزل قبل التعلم في الاكثر
مضيع اوقاته بنوم او تفكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها
فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله
من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس
بها وعن خواطر فاسدة يعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان
وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في العزلة قبل التعلم
ولا خير في العزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف

ثانيا الى الاصفرار بالعين وعند الاصفرار

بيان
همها

جميع ما يلزمه في العبادة فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب
متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل
ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة ضرره بمرضه فلا يليق العزلة الا
بالعلم فالتعلم اعظم العبادات في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض
عين عليه عاص بالعزلة والخلوة والاشتغال بالنوافل والاذكار
فكيف ظنك بالاشتغال بالتفرج وتطواف البلاد والبطالة واضاعة
الاوقات التي هي راس ماله في تجارة الاخرة ولهذا قال السلف مثل
النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل اي تفقه في الدين ثم اشتغل بنوافل
الطاعات ثم اعلم ان المتعلم له ترتيب في تحصيله وترتيب في اورادِه
اما الاول فلا بد له ان يشتغل بالعلم الذي هو فرض عينه بحسب ما
يقتضيه حاله فالفرض الاول له ان يتعلم معنى كلمتي الشهادة وهي قولنا
لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يفرض عليه اولا في الحال ان يحصل كشف
ذلك لنفسه بالبرهان وبالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه
ان يصدق بجزمًا من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك
قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اولا اذ اكتفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق الجزم
والاقرار من غير تعلم دليل ومما فرض عليه ان يبادر فيما يحصل به
الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر والصراط والميزان والحساب و
الجزاء وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حتى يومن بها ويصدق جزمًا قطعا
وقطعا من غير اختلاج ريب في قلبه والريب لا يجتمع مع الايمان في قلب واحد

[Margin notes (partly legible): اهل الطب؛ في قدر الضرر؛ لا باشتغاله بالنوافل والاوراد؛ بالبطالة؛ تقريرها؛ قطعا؛ جنيئذ؛ كمال]

والمريب كافر ومنافق وهذا الايمان من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يتعلم الرسالة التي هو مبلغها وهي ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار ولو خطر له شك في المعاني التي تدل عليه كلمتا الشهادة فالفرض عليه حينئذ تعلم ما يوصل الى ازالة الشك وان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة لنفس الاعتقادات يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد وان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان عن ذلك بتعليم الحق وتلقينه او لا فانه لو القي اليه الباطل لفرض ازالته من قلبه وربما عسر ذلك ثم يبدء بتعلم ما يتعلق بالصلوة من الوضوء والغسل والتيمم وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان وستر العورة لو عرض العوارض الموجبة بها مثل الجنابة والحيض والنفاس والسفر وغيرها ثم بتعلم الخشوع وحضور القلب وساير المعاني الباطنة والظاهرة وحدودها واسبابها وعلاجها وساير ما ذكر في كتاب الصلوة فان عاش الى رمضان ينبغي ان يتعلم ما يتعلق بالصوم من متممات نيته ومفسداته وقد ذكر في الصوم ثم ان كان له مال فيلزم تعلم علم الزكوة وقد ذكر ما يجب ان يتعلم منه في الزكوة وكذلك الحج وقد ذكر في كتاب مناسك ما فرض تعلمه ثم لا يخلو العبد عن وقايع في عباداته ومعاملاته وعن تجدد لوازم عليه فلزمه السؤال عن كل ما يقع له

من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه عن القرب غالبا
فاذا تبين انه عليه السلام انما اراد بالعلم المعرّف بالالف واللام في قوله طلب
العلم فريضة على كل مسلم علم العمل والمعاملة مع الله ثم يتعلم الحلال والحرام
ودرجاتهما من المعاملات وما يحل بحسب ما يقتضيه حاله وما يحرم
ويحل من الافعال والاقوال والاحوال وتعلم كل ذلك فرض ايضا بحسب
ما يقتضيه الحال ويتجدد وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم
تعلم ما يحرم من الكلام مثل الخوض في الباطل والكذب والحلف بغير الله وخلف
الوعد والغيبة والنميمة والتنابز بالالقاب والتصلف وكلمة الكفر
وغير ذلك مما ذكرناها في كتاب آفات اللسان ولكن يجب تعلم ذلك كلها وكيفية
الاحتراز عنها على من ليس بابكم ولا يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر
ويجب على البصير ولا يجب على الاصم تعلم ما يحرم سماعه ويجب على السميع
ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن وقس على هذا
امثالها وكل ذلك مما يجب الا بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك
عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس به يجب تعلمه وتعليمه كما لو كان لابسا للحرير
وجالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعلمه وتعليمه وما ليس ملابسا له
ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد
يتعاطى فيه شرب الخمر يجب تعليمه وجب تنبيهه عليه وما وجب تعلمه
وجب عليه تعليمه وانما الفرض المهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب
ما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص
والحسد والرياء والكبر والعجب واخوات هذه الخصال فتعلم

85

ذلك كله فرض وتعلم حدوده وعلامات وجوده وكيفية امتحانه ومعالجته
وكيف لا يكون تعلمها فرضًا وقد قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وازالة كل ذلك فرض عين
ولا يمكن الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها
فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب
بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وجميع ذلك
مهلكات قد ثبت بالكتاب والسنة كونها مهلكًا وفرضية ازالتها
والاعمال الظاهرة انما يفيد فايدة تامة ويكمل كما لا اذا جعل تنقية
هذه العلل الباطنة واهمالها والاشتغال بها فقط كطلاء الابرص
والاجرب ظاهره بدون شرب المسهل والفصد وطريقة
العلماء يأمرون بمجرد الاعمال الظاهرة كطريقة الاطباء الذين يامرون
لهولاء المرضى بالاطلية والعلماء الكمل يامرون بهما جميعًا اعنى
تطهير الباطن وقطع مواد الشرور المذكورة بافساد منابتها
وقلع مغارسها وهى فى القلب وانما يبادر الاكثرون بالاعمال
الظاهرة ويتركون تطهير الباطن عن هذه الشرور لسهولتها
وصعوبته كصاحب القروح والخراجات والخنازير والبهق
والدماميل الذى يبادر بالجهل الى الاطلية ويترك شرب الادوية
المسهلة المنقية للبدن عن الاخلاط الردية والمرار الصفراوية
والسوداوية التى هى تلك العلل الظاهرة فهو لا يزال يتعرف الاطلية

ويتعلم ويسأل عن الاطباء الطرقية الذين لم يجاهدوا في تعلم علم
علم الطب ولم يزاولوا المرضى ولم يلازموا المارستانات ولم يشاهدوا كثيراً طبخ الاشربة وخلط الادوية وليس لهم كثير تجارب
في تشخيص الامراض ومعرفة مقدارها في القوة والضعف ولا في القوة
الادوية درجاته في الحرارة والبرودة والقبض والاسهال والتفتيح
وغير ذلك فيزيد المواد ويتضاعف الامراض يوماً فيوماً فيهلك
المعنى بسببهم فياليتهم لم يعالجوا ولم يتشبهوا بالاطباء فان كنت
مريد الآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الابد فراع التدريج
وما دمت صاحب غنم لا تشتغل بتعلم زكوة الابل والبقر بل قدم
الاهم فالاهم واشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما ذكر في موضعه
ثم يجرّ ذلك بك الى المقامات المحمودة التي سميت منجيات لا محالة
فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت
من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين فما لم تفرغ من
فروض الاعيان لا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من
تدرقام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة
احمق من قصدته العقارب والحيات للدغه وقتله وهو يطلب
المذبة ليدفع الذباب ممن لا يخلصه منهما ولا ينجيه وان تفرغت
من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه كما امر
الله تعالى في كلامه وصار ترك ذلك خلقاً وعادة متيسرة فيك فاشتغل
بفروض الكفايات ان كنت تقدر عليه فان من تفرغ من تعلم بفروض

فما احمق من

كما صح

84

الاعيان وكان لايتاتى منه الخوض فى ساير العلوم ورأى الاشتغال با
لعبادات والاذكار فليعتزل وان كان يقدر على التبرز فى علوم
الشرع والعقل فالعزلة فى حقه غاية الخسران بل ينبغى ان يشتغل بهما
فيبتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم
التفسير وساير علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول
والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة ثم اشتغل بالفروع
وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم اصول الفقه وهكذا
الى بقية العلوم على مايتسع العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق
عمرك فى فن واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير
وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها
وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه
فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق
ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه
واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة فما من علم
الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها فى
الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار
فى التفسير مايبلغ ضعف القرآن فى المقدار مثل درج الليالى لابن
الخطيب وكالوجيز للواحدى فالاقتصاد مايبلغ ثلثة اضعافه
مثل حقايق السلمى وتفسير ابن عطية وتفسير ابن عطاء والوسيط
للواحدى وماوراء ذلك استقصاء مستغنى عنه لامرد له الى انتهاء العمر

[Marginal/interlinear glosses:]
اى فرض من العين
شير شاك
ظاهر
لانه لا يوجد فايدة فى التعليم والتعلم من حقه وغيره
متشابه
الحكم الذى لا يعتقد الا عدم العلم
جهد
فاذا كان كذلك فاقتصر
اوسط
قران قدرك
فى قران

مثل جمع البحور لابن الخطيب والبسيط للواحدي والثعلبي والماوردي
والقرطبي وغيرها واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في
الصحيحين بتصحيح نسخته على رجل خبير يعلم متن الحديث واما حفظ
اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم
وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر
على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف
اليه ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء
فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي و
الصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال
الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه القدوري
والبداية على مذهب ابي حنيفة رحمه الله وما يحويه مختصر المزني على مذهب
الشافعي وخلاصة المختصر للامام الغزالي والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة
امثاله مثل الوقاية والهداية على مذهب ابي حنيفة رحمة الله والوسيط للامام
على مذهب الشافعي رحمة الله والاستقصاء كالمحيط والمبسوط والواقعات
على مذهب ابي حنيفة رحمه الله وكالبسيط للامام على مذهب الشافعي
الى ما وراء ذلك من التطويلات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات
التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف
حقائق الامور من غير طريقه ومضيع الوقت ولا يحصل المرام ومقصود كلام
حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي

اورد فی قواید العقاید والاقتصاد فیه ما یبلغ قدر مائة ورقة کالاقتصاد للامام رحمة الله ولوامع الادلة له ویحتاج الیه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعة بما یفسدها وینزعها عن قلب العامی وذلک لا ینفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو شیئا یسیرا فقل ما ینفع معه الکلام فانک ان افحمته لم یترک مذهبه واحال بالقصور علی نفسه وقدرات عنه علی عجز عنه واما الخلافیات التی احدثت فی هذه الاعصار المتاخرة وابدع فیها من التحریرات والتصنیفات اداب البحث والمجادلات ما لم یعهد مثلها فی السلف فایاک ان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فاقبل هذه النصیحة ممن ضیع العمر فیه زمانا وزاد فیه علی الاولین تصنیفا وتحقیقا وجدلا وبیانا ثم الهمه الله رشده واطلعه علی عیبه فهجره واشتغل بنفسه ولا یغرنک قول من یقول الفتوی عماد الشرع ولا یعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذکورة فی المذهب والزیادة علیها مجادلات لم یعرفها الاولون ولا الصحابة وقد کانوا اعلم بعلل الفتوی من غیرهم بل هی مع انها غیر مفیدة فی علم المذهب فهی ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذی یشهد له حدس المفتی اذا صح ذوقه فی الفقه لا یمکن تمشیته علی شروط الجدل فی اکثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضیات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما یشتغل به من یشتغل لطلب الصیت والجاه ویتعلل بانه یطلب علل المذهب وقد ینقضی علیه العمر ولا یصرف همته الی علم المذهب فکن من شیاطین الجن فی امان واحترز من شیاطین الانس فانهم اراحوا شیاطین الجن من التعب فی الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضی عند العقلاء ان تقدر نفسک فی العالم وحدک الا مع الله

الاقتصاد ولوامع الادلة

الحذر من صرف العمر فی اشتغال الذهن بالمناظرات الخلافیة والجدل

وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتامل فيها يغنيك عما
بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث وقد مر وقد روى بعض العلماء
في المنام بعد موته فقيل له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر
عنها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين
حصلتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
الا اوتوا الجدل وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عليهم ابواب
العلم ويفتح عليهم ابواب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل
وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى
الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل فلنقتصر بهذا القدر
فقد اطنبنا الكلام فقد تبين لك الان شيان احدهما ان الغرض الاول على
المتعلم تقديم طهارة النفس عن رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة
القلب وصلوة السر وقربة الباطن وعمارة الى الله وكما لا تصح الصلوة التي
هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خباثة
الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي عليه السلام بني الدين على النظافة
وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله انما المشركون نجس تنبيها على نجاسة
الباطن لانه اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك
قال عليه السلام لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل
الملايكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب

اما لانك تكون تنظيف الثوب مغسول البدن ولكن تجس للجوهر الباطن متلطخا بالخبايث والنجاسات هي عبارة عن الخبث وخباثة صفات الباطن

83

والشهوة وساير ماذكرنا كلاب نابحة فانى تدخل الملايكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله فى القلب الا بواسطة الملايكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه عليم حكيم وهكذا مايرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما يتولاها الملايكة الموكلين بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بماعندهم من خزاين رحمة الله الا طاهرا ولسنا نقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكنى اقول هو تنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصايب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذى هو بناء الى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على تمزيق اعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعانى دون الصورة والصورة فى هذا العالم غالب على المعانى والمعانى باطنة فيها وفى الآخرة

Margin (interlinear glosses): كيف — ذكره — لا يتوصل — تقديره ما يتولاها الا الملايكة — اى لا ينظرون — بمجرد — عبد — اى وسيلة — بعين — فى الدنيا

Margin (left): علم ونفرق بين تعبير الظواهر الى الباطن وبين التنبيه

المعنوية

تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورة

المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره لاموال

ذيبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة الاسد

قد ورد بذلك الاخبار وشهد بذلك الاعتبار عند ذوي البصاير والابصار

وقد روى الامام العلامة الثعلبي في تفسيره قال اخبرنا ابن فنجويه حدثنا

عبد الله بن احمد منصور الكسائي حدثنا محمد بن عبد الجبار اخبرنا محمد بن

زهير عن محمد بن الهندي عن حنظلة الدوري عن ابيه عن البراء بن عازب

قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل

ابي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله ارايت قول الله عز وجل

يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال يا معاذ سالت عن عظيم من

الامر ثم ارسل عينيه ثم قال يحشرون عشرة اصناف من امتي اشتاتا

قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة

فالقتات من الناس يعني النمام واما الذي على صورة الخنازير فاهل السحت

الى اخر الحديث وذكر هذا الحديث ايضا صاحب الكشاف في الكشاف

والفخر الرازي في تفسير الكبير وهذه الاية وهذا الحديث جنانه

على ما ذكرنا ومن اراد معرفة الحديث بتمامه فلينظر في التفاسير المذكورة

فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم قلنا فهيهات

ما ابعدك عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب السعادة فان اوايل

ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول

شيئا مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديثا يوردونه

بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم فى شيء قال
ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذف
فى القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء وكان هذه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض
المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى
وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه
لتعلمنا لغير الله فان قلت انى ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا
فى الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا
عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء
من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله
وقد سبق الى هذه الاشارة فى مواضعه وهذا احد وظايف المتعلم وينبغى للمتعلم
ان يعلم ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه
ويكتفى منه بشمة ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو
اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعنى ما سمى المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة
وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعنى به الاعتقاد الذى تلقنه العامى وراثة
او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين ذلك كما هو غاية المتكلم
بل ذلك يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبايث
ينتهى الى رتبة ايمان ابى بكر الصديق رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالم لرجح كما
شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فينبغى ان تكون حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء

والمتكلمين فلا يرشد اليه الا الحرص في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم
وغايتها معرفة الله تعالى وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر
فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم و قد روى انه رؤى صورة عليه
حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد في يد احدهما رقعة وفيها ان
احسنت كل شيء فلا تظن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم
انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف
الله سبحانه وتعالى اشرب و اظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب
الثاني ان يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك تقدم
يراد شيأن احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك
كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية وثمرة الاخر الحيوة
الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النحو فان الحساب الحساب
اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الى الطب كان الطب اشرف
وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته سبحانه
وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم واياك ان ترغب
الا فيه الثالث ان يكون قصدك في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة
ورضاء الله والشكر له على نعمة العقل وصحة البدن وازالة الجهل وهو متعلم
راس الكفر وراس كل شقاوة عن نفسه وعن ساير الجهال واحياء الدين
وابقاء الاسلام فان بقاء الاسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع
الجهل انشد الشيخ الاجل الامام الاستاذ برهان الدين رحمه الله صا
حب الهداية

شعر

فساد كبير عالم متهتك واكبر منه جاهل متنسك هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك وفي المآل السعادة الابدية والقرب الى الله سبحانه وتعالى والترقي الى جوار الملاء الاعلى من الملائكة المقربين ولا يقصد به الرياسة والجاه ومماراة السفهاء ومباهات الاقران قال محمد بن الحسين رحمة الله لو كان الناس كلهم عبيدي لاعتقتهم وتبرئت عن ولايهم ومن وجد لذة العلم والعمل قل ما يرغب فيما عند الناس انشد الشيخ الامام الاجل قوام الدين حماد بن ابرهيم بن اسمعيل الصفاري الانصاري رحمه الله املاء لابي حنيفة من طلب العلم للمعاد فاز بفضل من الرشاد فيا خسران طالب العلم لنيل فضل من العباد اللهم اذا طلب الجاه للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحق واعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز وقد ذكر بيانه في كتاب ذم الرياء والجاه فينبغي ان يتفكر في ذلك فانه يتعلم العلم بجهد كثير فلا يصرفه الى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية شعر هي الدنيا اقل من القليل وعاشقها اذل من الذليل تصم بسحرها قوما وتعمي فهم متحيرون بلا دليل وينبغي لاهل العلم ان لا يذل نفسه بالطمع في غير المطمع ويتحرز عما فيه مذلة العلم واهله وكان لمحمد بن الحسن مال كثير حتى كان له ثلثماية من الوكلاء على ماله انفق كله في العلم واختار الفقر ولم يبق له ثوب نفيس فرآه ابو يوسف في ثوب خلق فارسل اليه ثيابا نفيسة فلم يقبلها وقال عجل لكم واجل لنا ولعله انما لم يقبلها وان كان قبول الهدية سنة لما راى ذلك مذلة نفسه قال عليه السلام ليس للمؤمن ان يذل نفسه والمذلة غير التواضع وهو بين التكبر والمذلة على ما يجي بيانه ان شاء الله

والمذلة حرام والتواضع واجب قال ركن الدين المعروف بالاديب
المختار شعرا للنفس التواضع من خصال المتقي وبه التقي الى المعالي يرتقي
ومن العجايب عجب من هو جاهل في حاله اهو السعيد ام الشقي
ام كيف يختم روحه او عمره يوم النوى متسفل او مرتقي والكبرياء الوتاصفة له
مخصوصة فتجنبها واتقي وحكي عن الشيخ فخر الاسلام انه جمع قشور البطيخ الملقاة
في مكان خالي فالقاها فلم يقبل لهذا وهكذي ينبغي ان يكون طالب العلم داهية
عالية قال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا
يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما
تواضع احد لله الا رفعه الله وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند
من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضلا وان ترفع نفسك
لمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس لبدنياه عليك فضلا وروي انه خرج
يونس وايوب والحسن يتدارسون التواضع فقال لهما الحسن اتدرون
ما التواضع التواضع ان تخرج من بيتك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك
فضلا وبالجملة للمذلة غير التواضع ومن مذلة العالم ان يكون غرضه من
سعيه للعلم جمع حطام الدنيا واقامة الجاه عند اهل الدنيا كما ذكرنا غير مرة
قال الامام الغزالي رحمه الله في بعض نصايحه للمترددين عنده من
طلبة العلم ايها الولد كم من ليلة احييتها في المطالعة وتكرار الدرس
وكم من ليلة تركت فيها طيب المنام وليت شعري ما الباعث لك في هذا
فان كان الباعث لك طمع الدنيا وجذب حطامها وتحصيل المناصب والمباهات
على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك وان كان الباعث لك احياء الدين

86

المحمدي وشريعته وتهذيب اخلاقك وكسر النفس التي هو اعدى عدوك
التي بين جنبيك فطوبى لك ثم طوبى لك ولقد صدق من قال في هذا المعنى شعر
سهر العيون لغير وجهك ضايع ‌ ‌ وبكاؤهن لغير فقدك باطل
ايها الولد عش ما شئت فانك ميت وحبب ما شئت فانك مفارقه
واعمل ما شئت فانك مجزي به ايها الولد اي منفعة يحصل لك من تحصيل
علم الكلام والخلاف والطب والنجوم والدواوين الشعر والعروض والنحو
والصرف والحماسة وديوان المتنبي وامثالها غير تضييع العمر بحق جلال ذي
الجلال رايت في الانجيلات بين وضع الميت على الجنازة وبين وضعه
على شفير القبر يسال الله تعالى عنه بلا واسطة مملكة اربعين سوالا اوله
عبدي طهرت منظر الخلق سنين فهل طهرت منظري ساعة ايها
الولد لقد يجي الندا من قبل الملك الجبار الى قلبك كل ساعة ولحظة ولمحة
عبدي ما تصنع لغيري وانت محفوف بخيري فانما انت اصم او تتصامم
من المنادي ايها الولد العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم بعد فلابد لكل
احد من الجمع بينهما ايها الولد العلم الذي لا يمنعك اليوم عن المعصية لا يمنعك
غدا يوم القيمة عن النار ايها الولد لو لم تعمل اليوم بعلمك ستقول
فارجعنا نعمل صالحا ويقال لك ايها الاحمق في الصيف ضيعت
اللبن قال الصديق الاكبر ان هذه الاجساد قفص الطيور او اصطبل الدواب
فانظر من ايهما انت والعياذ بالله لو كنت من الذين قيل في حقهم اولئك كالانعام
بل هم اضل فتيقن انك تترحل من الزاوية الى الهاوية ايها الولد اخذ الحسن

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة
وان كنت تدري فالمصيبة اعظم
باتك لا تجني الجنى من العوسج

البصري رحمه الله بيده شربة ماء ليشرب فتنفس الصعداء وخرج الدخان
من فيه وسقط الكوز من يده وغشي عليه فلما افاق سئل عن حاله فقال
ذكرت امنية اهل النار حين يقولون لاهل الجنة افيضوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله ايها الولد لو كان العلم المجرد كافيا فما المطلوب من نداء
هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر في وقت الاسحار ايها الولد
هل تعرف المطلوب من قوله تعالى فتهجد به نافلة لك وكانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون والمستغفرين بالاسحار
وروي ان النبي عليه السلام قال لواحد من الصحابة يوما يا فلان
لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع صاحبه فقيرا يوم القيامة ايها
الولد يكفيك هذا القدر من النصيحة وان كان هذا مقصده طلب لا محالة هو الاقرب
الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى ساير العلوم
اعني علم الفتوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وعلم القراءة
ومخارج الحروف وعلم التفسير وعلم اصول الفقه والعلم بالرجال واساميهم
واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف
عن القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند فهذه كلها من العلوم الشرعية
او مما يتعلق بها وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات ولا تفهمن من
غلو تاني الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فان المتكفلين بالعلوم كا
المتكفلين بالثغور فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم ساقي الماء ومنهم الذي
يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن الاجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله

لقد اسمعت اذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

دون حيازة الغنايم فكذلك من يجتهد في العلوم المذكورة قال الله تعالى هم
هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصبيان فيه عند قياسهم
بالملوك لا يدل على احتقارهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة
القصوى فهو ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء
الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا
ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة الرابع ان يعلم نسبة
العلوم الى المقصد كي يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى
المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ
الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصاير ما يجري
مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن
مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم
كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة
الى سعادة لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي
طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى افهام العوام والمتكلمين
على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق
عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت
الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك
في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشرا الناقة
وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والآخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه

الى الكعبة منزلا بعد منزل الثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن
ثم بعد النزوع وعن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض
للملك والسلطنة فله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها
ومن اول سلوك البوادي الى آخره ومن اول اركان الحج الى آخره وليس قرب
من ابتداء باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والرا
حلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلثة
اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم
الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا اذا تعلم على نية
نيل السعادة الابدية وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات
وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة
التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق
وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل
وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون
مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري
مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع
ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة
حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما
بالسعادة لا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح
والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة
والسلامة كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم

واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
فكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينهض له او انتهض الجهة لا على
قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال
ومن الضالين فله نزول من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو
حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن
اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد
السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال
غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة
والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم
المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك
طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة
وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب
الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي
يتوسل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان
وقانونه في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه واما
اسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الاديان
وعلم الابدان واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم
العزيزة الباطنة فان قلت فلم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة
فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست

واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم

ثابت

رب بحر

قام

له يقيم

علماء الساعي

اصحب العقبات الذنب والخلق والنفس

متعلق به

ما يحتاج

اي على طريق العدل

اي بيده وحكمه

اي بيده وحكمه

الشافعي

عليه غالب

88

اعني بالقلب اللحم المحسوس بل سرّ من اسرار الله لا يدركه الحسّ ولطيفة
من لطايفه تارة يعبّر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبّر عنه
بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السرّ وبواسطته صار جميع البدن مطية
وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السرّ من علم المكاشفة
ولا رخصة في ذكره وغاية الماذون ان يقال هو جوهر نفيس ودرّ
عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى
يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربّي فكل المخلوقات منسوبة
الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة ساير الاعضاء من البدن
فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة
النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات
والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا نفهم
من هذا تعريضا بقدمها فالقايل بقدم الارواح مغرور وجاهل لا يدري
ما يقول ولنقبض عنان الكلام والبيان عن هذا الفن فهو وراء
ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب
لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها
التي يركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن
في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم
مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب
كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان
وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده كان

189

يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي
في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد
الآلات ذلك كله واضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس
وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل
فالطب يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط
طب وعلم طريق الاعتدال الاحوال بين الناس في المعاملات والافعال فقه وكل
ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه والطب اذا لم يجاهد
نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد بشرا الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها
اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات
الفقه كالمستغرق عمره في دقايق الاسباب التي يستحكم الخيوط بها خرز راوية الحج
ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب او الواصل الى علم المكاشفة
كنسبة اولئك الى سالكي طريق الحج او ملابسي اركانها فتامل هذا واقبل النصيحة
مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وتعب شديد وجراة
تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف
في وضايف المتعلم ثم اعلم انا قد وجدنا كلمات منسوبة الى ابي حنيفة يتعلق الى
وضايف المتعلم فاحببنا ان تضيف الى هذه الوظايف منها واما بعد فلما رايت كثيرا
من طلاب العلم في زماننا يجدون ويجتهدون والى العلم لا يصلون او من منافعه وثمرته
يحرمون لما انهم اخطوا الطرايقه وتركوا شرايطه وكل من اخطا الطريق وضل لا ينال
المقصود قل او جل اردت واحببت ان ابين لهم طريق التعلم على ما رايت في الكتاب او سمعت

كثير امام ابو حنيفه

في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالتنافس بسبب والعدل يحفظ الاخلاط عند الصحة

من اسا يتذى اولى العلم والحكمة ومنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم اعلم انه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم وانما يفترض عليه طلب علم الحال كما يقال افضل
العلم علم الحال وافضل العمل حفظ الحال فيفترض على كل مسلم طلب ما يقع له في حالة اي حال كان
فانه لا بد له من الصلوة فيفترض عليه علم ما يقع في صلوته من الخشوع وحضور القلب وغير ذلك من اراد
ان يطلع على تلك الفوايد فعليه ان يطالع كتاب المسمى بتعليم المتعلم المنسوب الى ابي حنيفة رحمه الله
واما ترتيب المتعلم اوراده فكترتيب العالم قال الامام ابو حامد غزالي رحمه الله فاذا تبين ان الاشتغال
بالتعلم افضل من الاشتغال باذكار ونوافل الطاعات فينبغي له ان يشتغل بافادة
العلم حيث يشتغل العالم بالتصنيف بافادته وبالتعليق والنسخ وكتابة ويشتغل بذكر العلم
واستحضاره حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب ساير اوقاته كما ذكرنا
في العالم وكل ما ذكرناه في فضيلة العلم والتعلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم
يكن متعلما على معنا انه يتعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره
مجلس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله في الاوراد التي ذكرناها بعد
الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات في حديث وعيادة المريض اي ذكر حضور
مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال
عليه السلام اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة فقال
حلق الذكر وقال كعب الحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل
ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن خطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج
من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تهامة فاذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه ان
صرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه
الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى زاهد

محمد بن ثابت من العبّاد

مسكينة الطُفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال
مرحبًا يا مسكينة. فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى
فقال هيه فقالت يا مولاي ما تسأل أُبيح لها الجنة بحذافيرها فقال
وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يخلو من القلب من عقدة
من عقدات حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع
من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا والمراد من الذكر ههنا
العلم والفقه في الدين اشرنا اليه فيما مر من احوال العلم بدليل ما روى
عن انس بن مالك انه لما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقعد
مع قوم يذكرون الله من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق
اربع رقاب فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم يكن
مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر
القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمي تدبر القرآن
اخبار كثيرة بروايات بينات واسانيد لقوله عليه السلام اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجلس الذكر
وقوله عليه السلام ان لله ملائكة سياحين في الارض سوى
ملائكة الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضًا الا
هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله
وذكروا بانفسكم فنقلة الناس هذه الاسم المحمود الى ما ترى اكثر الوعاظ
يواظبون عليه بسبب تلبيس الشيطان وميل الطبع وقد ورد نهي

عمن هم

ثم وعد النعم تفقهًا وتعلمًا وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر

ظ

السلف عن الجلوس عندهم والاستماع منهم وقالوا لم يكن هذا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر الوعاظ الذين يخلطون الصدق
بالكذب والاخبار الصحيحة بغير الصحيحة يعزون الناس ويسهلون عليهم سبيل المعاصي
لينالوا مما في ايديهم من حطام الدنيا وعدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ واستمر ذلك
الى الآن وطار هذه الفتنة في العباد الى هذا الزمان فخرج عن هذا المنهاج وعاظ
هذا العصر كافة الا من عصمه الله في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فضلوا واشياطين
الانس فضلوا واضلوا عن سواء السبيل يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله
بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي واصرارا على الذنوب ونسيانا للتوبة ورغبة
في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب يشهد قرنه الى القدم بشدة
حرصه على الدنيا فما يفسد هذا الجاهل اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا
فيجعلهم محبا وحريصا على الدنيا مع انه راس كل خطيئة ومصرا على المعاصي ويورث
كل شقاوة وقد كان الواجب عليهم حل عقدة الاصرار والحث على التوبة والمعالجة ومتى
لا تحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء ولا معنى للدواء الا مناقضة
اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواءه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا
يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم
ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال الله تعالى
اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذا للتوبة الا معجون يعجن
من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد
بكل واحد منهما غرض اخر وباصلاح بمجموعهما ينقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان
تفهم علاج القلب مما فيه من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والآخر الصبر وكما ان المريض يحتاج في طلب الصحة

الى تصديق بامور اولها ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليه بالاختيار
على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا من الاعتقاد باصل الطب فان من لم يعتقد به لا يشتغل بالعلاج
ويحق عليه الهلاك والثاني انه لا بد وان يعتقد في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق صادق فيما يعبر
عنه لا يلبس ولا يكذب فان اعتقاده باصل الطب لم ينفعه بمجرده دون هذا الاعتقاد الثالث
لا بد ان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الاشياء المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف
في ترك الاحتماء ويكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء الرابع او يصغي الى الطبيب فيما يخص
مرضه وفيما يلزمه بنفسه ويضره والاحتماء عنه ليعرفه او لا تفصيل ما يضره من احواله وافعاله
وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة
خاصة علم خاص وعلاج خاص فكذلك المصر يحتاج في طلب التوبة ان يصدق بامور الاول
ان يصدق ويؤمن باصل الشرع وهو ان للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة
سببا هو المعصية وهو الايمان باصل الشرايع هذا لا بد من حصوله اما [illegible] عن تحقيق
او تقليد وكلاهما من الجملة الايمان الثاني ان يعلم ويعتقد ويؤمن ويصدق
بصدق الرسول ويصدق بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث
ان يصغي الى الرسول فيما جاء به من الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير
من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى وتصديق جميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك
وارتياب حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع
ان يصغي فيما يخص من المعاصي والشهوات اذ كل عبد ليس يبتلا بكل شهوة وارتكاب
كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة
الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه العلوم تختص بها اطباء
الدين وهم العلماء وورثة الانبياء فالعاصي على عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري

ثم الى العلم [illegible] فهذه علماء الدين

انما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة
او مسجد فيعلّم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي
ان يصبر الى ان يسئل عنه بل ينبغي ان يتصدّى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة
الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون
على ابوابهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا ويرشدونهم فان مرض القلوب لا يعرفون
مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه مرض ولا مرآة معه ولا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا
فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية ومحلة فقيها
متدينا يعلم الناس دينهم فان الناس لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة
اليهم في الاصل والفرع فالدنيا مرضى اذ ليس في بطن الارض ميت ولا على ظهرها الا سقيم
ومرض القلب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى
وكل مريض لم يقبل العلاج بمداوات العالم يسلم من السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب
المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم لقيده بالسلاسل والاغلال ويكف
شره عن ساير الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احدها
ان المريض لا يدرى انه مريض والثاني انه لا يشاهد في العالم عاقبة مرضه من العذاب
الاليم في دركات الجحيم وعذاب القبر وما بعده بخلاف مرض البدن فان عاقبته تشاهد
وهي الموت تنفر الطباع عنه فيجتهد في علاج سببه وازالته ولا يشاهد ما بعد الموت
من الدوام التي تحصل لاصحاب القلوب المريضة فلا يجتهد في ازالته مرض القلب
ولا ينفر من هذا المرض فقلة النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فيتوكل على فضل الله
في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال
فالفقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا

عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطر
الى اغراء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب
الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منها استنكافا
من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب
عم الداء وعظم الوباء انقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل
الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا
وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم الواعظ اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم
الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالرجاء وتغليب
اسباب الرجاء وذكر دلايل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع
فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على
المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا
اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن
لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا
بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية وبالغ
فيها وتجاوز عن الحد والافراط حتى اضر بنفسه واهلها جدا فتكسر سورة
اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر
على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما
لذنوبه الذي سبقت فترك العبادة واقبل على ضروب المعاصي بسبب قنوطه
واياسه عن رحمة الله نظر الى كثيرة ذنوبه يعالج ايضا باسباب الرجاء

حتى يطمع فى قبول التوبة واما معالجة المغرور المسترسل فى المعاصى بذكر اسباب
اسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من داب
الجهال والاغبياء وهو علاج مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المبالغة فى ذكر
الايات المنزلة فى التخويف ايضا لا تكاد ترد هم الحجارة الحق وسنن الصواب
فاما ذكر الاسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب
وادعى لاستنطاق الخلق بالثناء كيف ما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساق فسادا
وازداد المنهمكون فى طغيانهم تماديا وهولاء الحمقى الجهلة الجاهلون عن حقايق
الفاظ القرآن كيف لا يعلمون ان الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب
عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره
لاجل حصول اكثر اسبابه فهو الرجاء الصادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام
اسبابه واضطرابها فاسمه الغرور والحمق وان لم يكن الاسباب معلومة الوجود
ولا معلومة الانتفاء فاسمه التمنى وقد علم العلماء الراسخين ان الدنيا مزرعة
الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات كتقليب الارض وتطهيرها
وحفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا كالارض السبخة
التى لا ينموا فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع
ولا ينموا زرع الا من بذر الايمان وقل ما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء
اخلاقه كما لا ينموا بذر فى ارض سبخة فينبغى ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء
صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا
مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه فى اوقاته ثم نقى الارض

93

عن الشوك والحشيش وكلما يمنع نبات البذر او يفسده ثم يجلس منتظراً
من فضل الله ان يرفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع
ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء فان بث البذر في الصلبة سبخة
مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد الارض والبذر
اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي ثم انتظاره حمقا وغروراً
لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر
مياه الامطار في موضع لا يغلب الامطار ولا يمنع ايضا سمي انتظاره
تمنيا لا رجاء لها فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت حصلت
جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل
تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالعبد اذا بث بذر الايمان فسقاه بماء الطاعات ونقى القلب عن
شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل تثبيته على ذلك الى الموت
وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا
محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام
اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات
وترك القلب مشحونا برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا
ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقد ذكرناه قال صلى الله عليه
وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من
بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا

العبد بان

كمانتر نيكان

بدان

بدان

للتعبير

الادنى صح

ويقولون سيغفر لنا فاذا العبد المجتهد في الطاعات والمجتنب عن
المعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخوله
الجنة واما العاصي اذا تاب وتدارك جميع ما فرط فيه من تقصير فحقيق
بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه
المعصية وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق
اليها فحقيق بان يرجو التوفيق من الله للتوبة لان ذلك سبب قد يفضي
الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين
امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة
الله معناه اولئك يستحقون ان يرجو وما اريد به تخصيص وجود الر
جاء لان غيرهم ايضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما
من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والر
جوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة اولم يعزم
على ان يتعهدها بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار
عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من
الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين
بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله تعالى مع الافراط فاذا عرفت
حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب
وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن
بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه وصدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء
على تفقد الارض وتعهدها وتنقية كل حشيش نبت فيها ولا يفتر عن تعهدها
اصلا الى وقت الحصاد لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع عن التعهد فمن

عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر فيها لا ينبت فترك لا محالة
تعهد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث على الاجتهاد على
العمل واليأس مذموم وموضعه لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضده
للرجاء بل هو رفيق له كما ذكر في موضعه بل هو باعث على العمل بطريق الرهبة
كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجاء ومن اثاره التلذذ بدوام
الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في تملقه فان هذه الاحوال لا بد
وان يظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف
لا يظهر ذلك في حق الله وان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام
الرجاء والنزول في حضيض الغرور والحمق والتمني ويدل على اثماره لهذه
الاعمال حديث زيد اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسألك عن علامة
الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت على حب
الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني
شيء منه حزنت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى هياك
لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
علامة من يريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامة فهو
مغرور متمن وغير الشيطان اسم التمني سماه رجاء حتى خدع به الجهال
وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية يعني ان
الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله
جزاء بما كانوا يكسبون فنعم اجر العاملين هل جزاء

ثم ترك طول المجاهدة للاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال صح

عليه وحننت مشتاق صح

الاحسان الا الاحسان جزاء بما كانوا يعملون انما توفون اجوركم يوم القيامة
أفترى ان من استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط
كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني
وافسد جميعا ثم جلس ينتظر الاجرة وزعم ان المستاجر كريم افتراه
العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء
وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو ويضيعون العمل فقال هيهات
تلك امانيهم يترددون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا
هرب منه وقال مسلم بن دينار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي
فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه
ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح ولم
يجامع او جامع ولم ينزل وهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله هو ولم يؤ
او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور الا يرى ان الله
لم يقتصر بقوله تعالى ان الذين امنوا حتى قال وعملوا الصالحات في كثير من المواضع
في القرآن وجعل الجنة جزاء لمن جمع بينهما حتى قال لهم جنات الآية فكما انه
اذا نكح ووطئ وانزل وبقي مترددا في الخاطر والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا
يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجوا من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويحفظ له دينه من صواعق سكرات الموت حتى
يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل
الى المعاصي فهو كيس ومن عداهو لاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك
بعد الموت

اذا ... من جاء ... وعمل الصالحات وترك السيئات ... فهو كيس ... ويرجو فضل الله ... الايمان

يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اى علمنا
انه كما لا يولد ولد الا بوقاع او نكاح ولا ينبت الزرع الا بحرث
وبث بذر فكذلك لا يحصل فى الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القى فيها فوج سالهم
خزنتها الم يأتكم نذير الم يسمعكم سنة الله فى عباده وانه يوفى
كل نفس بما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فاما الذى غركم
بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير
فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء
وموضعه المحمود فاعلم انه محمود فى موضعين كما سبق الاشارة اليه
احدهما فى حق العاصى المنهمك اذا خطرت له التوبة فوسوس اليه الشيطان
فقال وانى يقبل توبتك فيقنط من رحمة الله ومن توبته فيجب عند هذا
ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات اذا تاب العبد وان التوبة اذا استجمع شرايطه فهو طاعة
تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم
واسلموا له امرهم بالانابة قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت الآية فى اهل
مكة وقعت محبته الاسلام والتوبة عن الكفر فى قلوبهم قالوا يزعم محمد انه
من قتل النفس التى حرم الله وعبد الاوثان وفعل كذا وكذا لم يغفر له فكيف
نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله

فانزل الله تعالى هذه الاية وعنه انها نزلت في وحشي فجاء وحشي واسلم
بعد نزول هذه الآية وقال عبد الله بن عمر نزلت في عياش بن ابي ربيعة وهشام
بن العاصي والوليد بن الوليد ونفر كانوا قد اسلموا ثم عذبهم الكفار
فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا فكتب عمر بن الخطاب
الآية ثم بعث الى هشام قال هشام فلما قدمت الآية علي خرجت بها الى
ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت انها نزلت فينا فرجعت فجلست
على بعيري فلحقت برسول الله وقال قتادة نزلت الآية في قوم اصابوا
ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الاسلام خافوا ان لا يتاب عليهم فدعاهم
الله بهذه الآية الى التوبة والانابة ومن قرأ الآية الى قوله تعالى الله
خالق كل شيء علم ان معنى الآية غير ما فهمه الجهال والسفهاء المغرورون
الحمقى نعوذ بالله من الجهل والعمى وقال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن الآية
فاذا توقع العبد المغفرة على التوبة فهو راجي وان توقع مع الاصرار فهو
احمق مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو مستغرق بالتجارة
في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال الشيطان له لا تدرك الجمعة فاقم
واشتغل بما انت فيه فكذب الشيطان واقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة
فهو راجي وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة
لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او بسبب من الاسباب التي لا
يعرفه فهو مغرور والثاني ان تفتر نفسه من فضايل الاعمال
وتقتصر على الفرايض من الصلوة والصوم والزكوة والحج وترك
المعاصي راعيا شرايطها من الطهارة الكاملة في الظاهر والباطن

مما العبادة م

من تطهير البدن والثياب والمكان وستر العورة واستقبال القبلة وغير ذلك
ومن تعظيم من له العبادة ومن تعظيم ما فيه والقرآن والتدبر في معنى الفاتحة
والاذكار التي فيها ومن الخوف ممن له الطاعة والاستحيا منه عن تقصيره عن
اتيان العبادة كما يليق بجلاله ويقابل بانعامه وحضور القلب في جميع صلوته
فيما هو يلابس له من الافعال والاقوال مع الاخلاص في جميع ذلك والنية
وغير ذلك وفي الصوم ان يضم الى الامساك عن المفطرات الثلاث الاخلاص
والنية والاجتناب عن الكذب والغيبة وساير آفات اللسان وعن
النظر الى ما لا ينبغي كما جاء في السنة وعن الظلم والضرب والبطش باليد ما لا
يجوز وعن المشي فيما لا يجوز وعن ساير جرايم الاعضاء وعن الاكل كثيرا
وعن اكل ما يحرم ويشتبه الى غير ذلك وكذلك في باقي العبادات ان ياتي ما يجب فيها
ويجتنب عما يجب الاجتناب عنها ويترك ظاهر الاثم وباطنه فان ذلك فرض
وذلك بالاجتناب عن الاخلاق الذميمة المذكورة فيما سبق فيجب على ذلك
الوجل المتكفي على ما ذكر من الفرايض ان يرجي نفسه نعم الله وما وعد الصا لحين م
حتى ينبعث من الرجاء المتصرم نشاط العبادة فيقبل عن الفضايل كما كان مقبلا بمجرد
الفرايض فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني
يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر الى الفضايل وكل توقع حث على
توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا
الى البطالة فهو حمق وغرة كما اذا خطر للعبد ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل
يوسوس اليه الشيطان فيقول ما لك تؤذي نفسك وتعذبها ولك رب كريم

الشيطان

غفور رحيم فيغتر به عن التوبة والعبادة فهو لحماقة والغرة وعلى هذا واجب على
العبد ان يشتغل على الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه
مع انه غفور غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار
ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم كما انه لا يضره معصيتكم بل سلط انواع الامراض
والعذاب والمحن والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده المومنين الصالحين
في الدنيا وهو قادر على ازالتها وكم طفل صغير سلط عليه العلل الموجعة ثم اماته فاقبره وترك امه باكيا محترقا متحسرا مجروح القلب وكم مومن في القبر
الضيق في انواع العذاب والحسرة على ما خلف من دنياه واقاربه واولاده متفرقا
شعره ولحومه وعظامه وكم من حيوان تحت احمال مجروح الظهر مكوي الاطراف
الى غير ذلك فيما يرى في الدنيا من انواع المحن فمن هذا سنته في عباده وبلاده
فقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به وكيف اجوز ان يعذب هولاء المذكورين
ويعاقبه باي شي اعتمد في ذكر هل جاني مكتوب لذكر من الله واعتقني ذكر ما
ابتلاهم به وكيف اقول كما يقول السفهاء الجهال حاشا من كرمه ورحمته ولطفه
ان يعذبني ولا اجتنب عن المعاصي واخالف واجالف امره ونهيه واكون من
الذين فنبذوه وراء ظهورهم فالخوف والرجاء اكثر الناس هو سبب
فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله واهمالهم السعي للآخرة
فلذلك عزور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيغلب على آخر هذه الامة
الامن والغرور فقد كان الصحابة والتابعون وتابعهم وساير اهل اعصار
الاول يواظبون على الطاعات ويجتهدون ويجاهدون مع انفسهم ويومنون ويخافون

قال ابن الجوزي ... والرجاء وغرور وحماقة فهو شين والرجا لا يبعثه

فان قيل ان ... يعتقدان على العمل ... وسايغان ...

ما انوو قلوبهم وجلة وتخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار
في طاعة الله ولحزن والبكاء وايثار الفقر والجوع والعري وترك
المشتهيات من المطعم والملبس والمسكن ولهم المبالغة في التقوى
والحذر من الشهوات والشبهات ويبكون على انفسهم في
الخلوت واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين ومطمئنين
غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله
زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله وراجون عفو الله ومغفرته
كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وعفوه مالم يعرفه الانبياء
والصحابة والسلف الصالحون وان كان هذا الامر يدرك بالتمني
وينال بالهوينا فعلى ما ذا كان بكاء اوليك خوفهم وحزنهم وقد ذكر
تحقيق هذا في كتاب الخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن
في قلوب الرجال كما يخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف
معه ان احسن احدهم قال سيقبل وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون
الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثل اخبر عن النصارى
فقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى
اى شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر متفكر فيه الا ويطول حزنه ويعظم
خوفه ان كان مؤمنا بما فيه فترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويناظرون على رفعها ونصبها وخفضها كانهم

الى التفات الى معانيها والعمل بما فيه وهلع في العالم حمق وجهل يزيد على هذا وقد روت
عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهوى وهبت الريح عاصفة يتغير وجهه
ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية في سورة الحاقة فصعق وكان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل
وقال تعالى وخر موسى صعقا وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبرايل قط الا وهو يرعد
فرقا من الجبار وروي انه لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان فاوحى الله
تعالى اليهما ما بالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نامن مكرك فاوحى الله تعالى
اليهما هكذا كونا لا تامنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة
الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس انه قال عليه السلام سال جبرئيل
مالي لا ارى ميكائيل ضاحكا فقال جبرئيل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقال ان لله ملائكة
لم يضحك احد منهم قط منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر
خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصاري فجعل يلتقط من التمر ويأكل
فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال ولكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ
لم اذق طعاما ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم
يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم فقال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال ان الله لم يامركم بكنز المال ولا باتباع
الشهوات من كنز دنانير يريد بها حيوة فانية فان الحيوة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما
ولا اخبأ رزقا لغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابرهيم من مسيرة ميل خوفا من ربه قال
مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبتت المرعى من دموعه حتى غطى
راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق

من حر جوفه ثم انزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يا الهي اجعل خطيئتي في كفي فصارت
خطيئته مكتوبة في كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب ولا لغيره الا راٰها فابكته وكان
يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه
ويروى عنه انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من الله وكان يقول في مناجاته الهي
اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك
الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبوسا للقانطين من رحمتك وكان
يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال
الحشا وقبل ان يؤمر بي غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وروي
انه لما اصابته الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه
لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك فضاق ذرعه واشتد غمه فقال الهي وسيدي اما ترحم بكائي
فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي كيف انسى ذنبي وكنت
اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري وسكن هبوب الريح واظلني الطير وآنست الوحوش
بمحرابي الهي وسيدي ما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله اليه يا داود ذاك انس
الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه
من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكى
الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا
ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا
فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات
يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلثون الفا وما رجع الا في عشرة الاف قال
وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجله مخافة ان تتفرق اعضاؤه

ومفاصله فيموت فكان يقول في مناجاته الهي رب داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب
رب ان لم ترحم ضعف داود جعلته حديثا في الخلق سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق
بما شاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم
اقم لفتنته الهي يبكي الثكلى على ولدها وداود تبكي على خطيئته الهي لم اتعظ بما وعظت به غيري
الهي باي عين الهي باي عينين بهما انظر اليك يوم القيمة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي
الهي ويل للخاطي باي قدم اقوم امامك يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور ويل
للخاطي يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي انا الذي لا اطيق حر شمسك
فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا الذي لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق
صوت جهنم سبحان خالق النور ويلي اذا نصب الموازين القسط سبحان خالق النور ويلي اذا
اخذ بناصيتي فيدفع الى الخصم سبحان خالق النور ويلي اذا سحبت على وجهي مع الخاطئين
والمذنبين والعاصين سبحان خالق النور ويلي حين يجمعني الزبانية في السلاسل
والاغلال مع الظالمين والشياطين الى النار الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض
برحبها سبحان خالق النور الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك
يدلني اسئلك يا اله ابرهيم واسمعيل واسحق ان تعطيني سؤلي فان اليك رغبتي اللهم اني
اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلوة لا تقبل وذنب لا تغفر وعذر لا يقبل وبكاؤه
ومناجاته وحكايته كثيرة لا يحتمله هذا المختصر ومما كان ذنبه فعلا من افعال
الجوارح بل كان حديث النفس وما يرويه الوعاظ في حقه افتراء وكذب نبي الله معصوم
منزه عنه وكان اكثر مناجاته في المسجد الاقصى وصحاري وجبال بيت المقدس وقال ابن عمر
دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عادة اهل المسجد قد لبسوا مدارع
الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم شدوا انفسهم بالسلاسل الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع ابويه

فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم الينا نلعب فقال اني لم اخلق للعب
قال فاتى ابويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان
يخدمه نهارا ويقوم فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد
الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع
رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد
الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسألاه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير
ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرداه ابواه الى بيت المقدس
فكان اذا قام يصلي بكى حتى تبكي معه الشجر والحجر والمدر وتبكي زكريا البكاء حتى يغمى
عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت
له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا يواري اضراسك عن الناظرين فاذن
لها فعمدت الى قطعتي لبد فالصقتهما على خديه فكان اذا قام ليصلي بكى واذا
استنقعت دموعه في القطعتين اتت عليه امه فعصرتهما فاذا رأى دموعه
تسيل على ذراع امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين
فقال له زكريا يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي فقال يحيى يا ابت
جبرائيل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال زكريا
فابك يا بني وقال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة
ويباعدان من الدنيا بحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل
مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وكان الخليل اذا ذكر خطيئته يغشى
عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبرائيل فيقول له الجبار يقرئك

السلام ويقول هل رايت خليل يخاف خليله فيقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي
نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء فتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله
وصفاته ولقد روي ان ابا بكر الصديق راى طايرا فقال ليتني مثلك
يا طاير ولم اخلق بشرا وكان يقول ابو ذر وددت لو اني شجرة
تعضد وكان يقول عثمان وددت اني كنت نسيا منسيا وكان عمر يسقط
من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ
يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ولم اك شيا مذكورا
يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني نسيا منسيا وكان في وجه عمر خطان اسودان
من الدموع ولما قرا عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف
نشرت خر مغشيا عليه فمر يوما بدار انسان وهو يقرا والطور فوقف
يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل واستند الى حائط
فمكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما
مرضه قال علي رضي الله عنه وقد سلم من صلوة الفجر وقد علاه كابة وهو يقلب
يده ويقول لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم المعزى قد باتوا
سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم واذا اصبحوا
وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى تبل ثيا
بهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فاروي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه
ابن ملجم وقال عمران بن الحصين لوددت اني كنت رمادا تسفني الرياح في يوم
عاصف وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا توضا اصفر لونه فيقول له
اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان

اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري رحمه الله كان النار قد
احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وكان المسور بن المخرمة لم يقوى ان يسمع القرآن
لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف او الاية الاية فيصيح الصيحة فما يعقل
اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين اعد على القران يا ايها القاري فاعادها
عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح
صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك ابن دينار بينما
انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب
كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب مالك ادب وعقوبة الا النار وتبكي
فما زال ذلك دابها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت وضعت يدي على راسي صارخا
اقول ثكلت مالكا امه ومر الحسن بشاب وهو مستغرق بالضحك وهو جالس
مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري الى الجنة
تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رؤي الفتى بعدها ضاحكا
وقالت ام محمد بن كعب القرظي له بنيها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك
احدثت حدثا موبقا لما اراك ان تصنع كانك في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون
الله قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني فقال وعزتي لا اغفر لك وقال الحجاج
لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط قال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت
والزبانية قد اعدت وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام يا ليتني
ويا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لشدة خوفه وروى انه ما ضحك اربعين سنة
قال وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها

فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة خوفه فقال ما يؤمنني ان يكون
الله قد اطلع على بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فهذه مخاوف الانبياء
والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل
بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل
قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وحدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا
وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين
تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا
فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب
اننا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري
وخاطرنا وان اردنا رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد
في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا ونقول اللهم ارزقنا ثم اذا
اطمحت اعيننا نحو الملك الدايم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا
والذي اليه رجاؤنا وبه اغترارنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا
تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الناس ما غرك بربك الكريم الذي ثم
كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هايلة
ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا
بل نساله ان يسوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة
غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء
وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله ان يمن بالتوفيق
والرشد علينا بمنه وفضله والمقتصر من حكاية خوفهم على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان

وان افيض على القلب الغافل لا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك
الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفاً كهيئة المحزون
من شدة الوله ما يكاد يرقى دمعه من كثرة البكا قال عيسى فلما رايته هالني من
منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال بماذا
اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام
فهو خايف ان يغفل منه فيفترسه السباع او يسهو فينهشه الهوام فهو مذعور
القلب وجل فهو في المخافة في ليلة وان امن المغترون وفي الحزن نهاره
وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئاً عسى ان
ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي
يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقدير
احتواش السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه من تقدير بل هو تحقيق
فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحوناً بانواع السباع واصناف
الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والريا
وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب
القلب عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطا ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت
لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد احدقت
بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها
او تقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل الا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم
قلبك فضلاً عن ظاهر بشرتك وجسمك فهذا خوف الانبياء والعلماء والاولياء فانت
ايها الغافل مع كلال بصيرتك وعمش عين القلب في احوالهم كيف اشتد عليهم الخوف وطارهم

الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط
مغشيًا عليه وبعضهم يخر ميتًا على الارض وتحقق ان عقل الانبياء والعلماء و
الاولياء لا يشبه عقلك فان كان لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون فاشتغل
بالاستعداد ايها المسكين فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا
واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك فاحترز عن مشاهدة
المعاصي واهلها جهدك فان ذلك ايضًا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك
واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من
انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك
ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في تيقظك واما اذا نمت فاياك
ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان لا يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على
قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعًا
انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان غالبًا قبل النوم عليه ولا تبعث عن نومك
الا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا
ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه
فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعًا
ويقينًا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك ولكن
بهذا تصديقًا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلًا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب
انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم

هلكي الا العاملون والعاملون صح

تفعل فالناس كلهم هلكا الا العالمون والعالمون كلهم هلكي الا المخلصون والمخلصون
علي خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك مالم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك
مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك
ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطرة كاره ولا تكون رغبتك
فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن و
بين اخراجها فهما ضروريان في الجبلة. وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك
التي تشغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم
انه كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج عنه فاذا لم يكن قصدك
من الطعام الا التقوي علي عبادة الله كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة
ذلك ان يظهر من ثلثة امور من ماكولك في قدره ووقته وجنسه اما
الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة فتواظب علي الصوم واما
قدره فان لا يزيد علي ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذايذ من
الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت علي هذه الثلثة وسقط عنك مؤنة
الشهوات واللذات قدرت بعد ذلك علي ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل
الا من حق فان الحلال يعز ولا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك
منه دفع الحر والبرد وستر العورة وكلما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق
فطلبك غيره منك فضول يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدايم والعناء القايم
في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهات وقس بهذا
ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك فكلما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به
في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومنزلة وبرد بعده بل كنت ممن

لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض
مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك
الامر وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من
الحايط سوى كونه حايلا بينكم وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا
للامطار واخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهوان
بعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله
وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى
اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة
ممن احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا
العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاءة
في غير وقت ارادتك ولم يفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة
ما ارشدت اليه فامرك في خطر عظيم في يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى
الله بقلب سليم فاياك واياك ان تكون مغرورا بقول العلماء السوء ولا بمعلم ولا
بنصيحة وعاظ الزمان فانهم شياطين الانس بل عليك الاسكات او الاخراج ان قدرت
والا فعليك الخروج عن ابن عمر رضي الله عنهما انه خرج من المسجد وقال ما اخرجني
الا الواعظ ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل بوجوهنا
القاص يعني الواعظ فقال ولوا البدع ظهوركم ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى
قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه
فقال القاص يا شيخ الا تستحي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما
حدثتك

واخرج علي رضي الله عنه القصاص عن مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه
اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال
وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في
شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة
واهوالها فهذا هو المراد من ذكر الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر وغيره رضي الله
عنهم وهو قوله عليه السلام حضور مجلس ذكر الحديث وفي رواية حضور مجلس علم
افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض
وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة
القرآن قال وهل ينفع قراءة القرآن الا بالعلم وقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية نفوسهم
ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق التذكير المحمود فاشتغلوا
بالقصص الذي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان ويخرج عن القصص الواردة
في القرآن ويزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر سماعه وان كان صادقا
ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا
نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق اي واعظ فان كانت
القصص من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلا ارى به باسا
وليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر
فهم العوام عن درك معانيها وعن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة
بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه يحكى
كيت وكيت عن بعض المشايخ وعن بعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه
من هو اكبر مني فلا عجب

من هوا كبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس وعند ذكر يرجح القصص المحمود الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار وللمذكر شروط كثيرة مذكورة في موضعها من هذه الكتب ستطلع عليه ان شاء الله تعالى والمقصود ان تعلم ان المراد من مجلس الذكر ما هو وقد تبين لك مما ذكرنا ان المراد منه مجلس العلم الرابع من الاشخاص ستة التي يختلف الاوراد باختلافهم المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادة بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن ويراعي في العقد الذي به يكتسب اربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة وقد اوردنا ذلك كله في كتاب الكسب بحدها وحقيقتها ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد المذكورة وان دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فله فضل عظيم وثواب جزيل لا يقصر على ثواب الاوراد المذكورة لان العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه يتقرب الى الله تعالى ثم يحصل به فايدة الخير ويجذب اليه بركة دعوة المسلمين فيتضاعف به الاجر ولكن ينبغي ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة وهم ستة الاول المتقي المعرض عن الدنيا المتجرد لتجارة الآخرة قال عليه السلام لا تاكل الا طعام تقي .... ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان المتقي يستعين به على التقوى فيكون شريكا له في طاعته باعانته اياه وقال عليه السلام اضف بطعامك من يحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء المنقطعين الى الله تعالى فقيل له لو عممت كان افضل فقال لا هؤلاء قوم همتهم الله تعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة احدهم فلان ارد همة واحد منهم الى الله احب الي من ان اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذه الكلام للجنيد فاستحسنه

وقال هذا ولي من اولياء الله ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت
فبعث اليه الجنيد مالا فقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا يضر بمثلك
وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه الثاني ان يكون
من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما
صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال
اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم لحاجة
لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل الثالث ان يكون
صادقا في تقويه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى
النعمة منه ولم ينظر الى الواسطة ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم
يتيقن ان الواسطة مسخر مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه وقد ذكر تحقيق
هذا في كتاب الزكوة الرابع ان يكون مستترا مخفيا حاجته او يكون من اهل المروة
ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف الخامس ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الا
السادس من الاقرباء وذوي الارحام فيكون صدقة وصلة قال علي لان اصل اخا
من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب
الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والا
صدقاء واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع
هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها
فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهذه الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى

وكما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطاء فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال
تطهير نفسه عن صفة البخل وتاكيد حب الله في قلبه وايجابها ده في طاعته وهذه الصفات
هي التي تقوى في قلبه وتشوقه الى لقاء الله والاجر الثاني مايعود اليه من فايدة الدعوة
الاخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطاء
حصل الاول دون الثاني وفي ذلك اجر آخر وهو اجر خدمة الفقراء قال صلى الله عليه وسلم الخادم
في امان الله مادام الخادم في خدمة المؤمن وللخادم في الخدمة اجر الصايم بالنهار القايم بالليل
الحديث بطوله وقال عليه السلام طوبى للخادم في الخدمة يوم القيمة وليس للخادم حساب ولا عذاب
وللخادم شفاعة مثل ربيعة ومضر وفي رواية الخادم اقرأ الحديث بطوله السوافضل عند الله من عابد مجتهد
وتعلم محتسب جماعة والخادم اجر من يخدمهم من غير ان ينقص من اجورهم شئ وقد قيل في فضل
السكسب الرجل ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله
معاده عن معاشه وهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه
لمعاده فهو من المقتصدين قال النبي عليه السلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة
وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وقال عليه السلام
من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه
كالقمر ليلة البدر وكان عليه السلام جالسا مع اصحابه يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة
قد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال عليه السلام لا تقولوا
ماهذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله
وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان
يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وفي الخبر ان الله يحب المؤمن المحترف وقال عليه السلام الحل

ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وقال احل ما اكل الرجل كسب يد الصانع
اذا نصح وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان ياتي
رجلا اعطاه الله فيساله اعطاه او منعه وقال عليه السلام من فتح على نفسه بابا من
السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى
الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم عن التاجر الصدوق
اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد
ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والاعطاء فيجاهده
وخالف الحسن البصري في هذا اسوق الصوفية لاهل البيع والشرى وبالجملة من كان
معه مال فاكتفى به قانع فترك مخالطة الناس له افضل اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر
الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة بكسبه فاذا اكتسب من جهة حلال وتصدق به فهو افضل
من ترك الكسب والمخالطة والاشتغال بالنافلة وليس افضل من الاشتغال بالتحقق في معرفة الله
ومعرفة علم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد له لذكر الله اعني ما حصل للناس
من مناجاة الله عن بصيرة لا عن اوهام او خيالات فاسدة وهذا كله فيمن لم ينفتح له طريق العمل
بالقلب اما من انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة ولا يساويه
ولا يقربه وهو المقصود كله وهو المفضي الى الفلاح والسعادات الابدية كما قال تعالى واذكر اسم
ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا قال عبد الله بن عامر الجهني ما النجاة يا رسول الله قال ليسعك بيتك وامسك عليك
لسانك وابك على خطيئتك قيل يا رسول الله اي الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله
في سبيل الله قيل ثم من قال مؤمن
معتزل في شعب من الشعاب
يعبد ربه ويدع الناس من شره
قال فضيل كفى بالله محبا وبالقرآن
مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا
ودع الناس جانبا وعن داود الطائي
صم عن الدنيا واجعل

وينبغي ان يعرف ... والاعتقاد
اسدا مؤذيا و...
انه صالح

فطلب الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال وهب ابن الورد بلغنا ان
الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في العزلة من الناس وقال
سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت والاكتفاء بالقوت
الى ان تموت وعن بعض الاكابر قال كنا في سفينة ومعنا شاب من العلوية
فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ
سبع ولا نراك تخالطنا وتكلمنا فانشا يقول قليل الهم لا ولد يموت
ولا امر يحاذر ان يفوت قضى وطر الصبى وافاد علما فغايته التفرد والسكوت
وعن ابن عباس فضل المجالس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى والآيات والاخبار والآثار
في هذا كثيرة لا يحتملها هذا المختصر والمقصود الاشارة الى الافضل من الكسب وتركه
ولا يمكن الكسب الا بالمخالطة الكسب الخامس الوالي مثل السلطان والخليفة
وملك الامراء والامير والقاضي او المتولي للنظر في امور المسلمين فقيامهم
بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد
المذكورة فحق ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد
المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله يفعله اذ قال مالي وللنوم لو نمت بالنهار
لضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي فقد فهمت مما ذكرنا انه يقدم
على العبادات البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان
كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل ساير العبادات
يتعدى فايدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه ولهم وظايف كثيرة في الاثنا
بحقوق المسلمين مذكورة في غير هذا المواضع السادس الموحد وهو المستغرق

سمعهم فارغ ولا يلوح لابصارهم لايح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيته ولا محرك
لهم ولا مسكن لهم الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازديادهم فلا يتميز
عندهم عبادة من عبادة وهم الذين فروا الى الله تعالى كما قال تعالى لعلكم تذكرون
ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى
الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا واليه الاشارة
لقوله تعالى انى ذاهب الى ربى سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول
اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا ولا ينبغى ان يغتر العبد
بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف عباداته فذلك علامة ان لا
يتحسس فى قلبه وساوس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاهوال
ولا يستفزه عظايم الاشغال وانى يرزق هذه المرتبة لكل احد فيتعين
على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله ثم الاصل
فى الاوراد فى حق كل صنف من الاصناف الستة المذكورة المداومة فان المراد منه
تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب
الاثر على المجموع واذا لم تكن تعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم تردف بثان وثالث
على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ
ليلة فى التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ فيه ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع
ذلك القدر على الليالى المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال صلى الله عليه وسلم احب
الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عايشة عن عمل رسول الله فقالت كان
عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال النبى عليه السلام من عوده الله

عادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان هو السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما
فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن
في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عايشة وام سلمة

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء ما بين العشائين
وكيفية قسمة الليل فضيلة ما بين العشائين قال النبي عليه السلام فيما روت عايشة ان افضل الصلوة
عند الله صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح الله تعالى بها صلوة الليل وختم بها صلوة
النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب
او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وروت
ام سلمة عن ابي هريرة انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه
صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين
المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين
في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال
عليه السلام من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذا
يكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر او قال اطيب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى المغرب في جماعة ينبغي ان يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا
ويقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر ايات من اول سورة البقرة وآيتين من وسطها
والهكم اله واحد الآيتين وقل هو الله احد خمس عشر مرات ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية
قرا الفاتحة واية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله خالدون وثلث آيات من اخر البقرة من قوله لله ما في السموات

107

وما في الارض الى آخر السورة وقل هو الله احد خمس عشر مرات وقد وصف من ثوابه في الحديث
غما يخرج عن حصر وقال كرز بن وبرة ومومن الابدال قلت للخضر علمني شيئا اعمله في الليل
فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلوة العشاء مصليا من غير ان يتكلم احدا واقبل على
صلوتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد
ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى موضعك ولا تكلم احدا وصلي ركعتين واقرا
فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله
سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي
يا قيوم يا ذي الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها
يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت
مستقبل القبلة على يمينك وصلي على النبي عليه الصلوة والسلام وآدم عليه السلام حتى يذهب
بك النوم فقلت احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم
حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن
علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذا الصلوة من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرآى انه
ادخل الجنة ورآى فيها الانبياء ورآى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد
في فضل احياء بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله عليه السلام
يامر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء
فذلك صلوة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم

اللهم صل على محمد ونبيك وحبيبك وعلى آدم صفيك وعلى جميع انبيائك ورسلك

بمحضر بيان

هو ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليه ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت واني سليمان الداراني اني اصوم النهار
واتعشى ما بين المغرب والعشا احب اليك وافطر النهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت
ان لم يتيسر ذلك قال فافطر وصلى ما بينهما

فضيلة قيام الليل

اما من الايات قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
الاية وقوله ان ناشئة الليل الاية وقوله تتجافى جنوبهم الاية وقوله امن هو قانت اناء الليل الاية
وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام
الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ومن الاخبار قال عليه السلام يعقد الشيطان
على هامة احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان
استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح
نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلانا وروي انه ذكر عنده صلى الله عليه وسلم رجل انام
كل الليل حتى يصبح وقال ذاك بال الشيطان في اذنه وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما الرجل
في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتها عليهم وقال صلى
الله عليه وسلم يا اباهريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل
وانت تريد رضا ربك يا اباهريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم
عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل
قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال عليه السلام يا اباذر
لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيمة الا انبئك يا اباذر بما ينفعك ذلك اليوم
قال بلى بابي وامي قال صم في يوم شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة

٥٥٨

لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وقال علي بن الحارث شيع يحيى بن زكريا من خبز الشعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا من داري ام وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولذهبت نفسك روحك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك لبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقال عليه السلام رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح وجهها الماء ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال عليه السلام من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلام افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر رضي الله قال عليه السلام من نام عن حزبه بالليل فقراه بين صلوة الفجر والظهر كتب له فكانما قراه من الليل ومن الآثار روى عن سفيان الثوري شبع في ليلة فقال ان الحمار اذا زيد عليه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وروى عبد الله بن القاسم القرشي قال سمعت عن بعض الصديقين يقول رايت احمد بن حنبل في المنام وعليه حلتان خضراوان وفي رجليه نعلان من الذهب الاحمر شراكهما من الزمرد الاخضر وعلى راسه تاج من النور مرصع بالجوهر فاذا يتبختر في مشيته فقلت لحبيبي يا ابا عبد الله ماهذه المشية التي لا اعرفها لك في دار الدنيا قال هذه مشية الخدام في دار السلام فقلت حبيبي يا ابا عبد الله ماهذه التاج الذي اراه على راسك قال ان الله غفرلي وادخلني الجنة وكساني وتوجني بيده واباحني النظر اليه وقال يا احمد

صلى الله عليه والد

فعلت بك هذا القول كذا القرآن كلام الله غير مخلوق وروى انه راى هذه الرؤيا ايضا محمد بن
خزيمة الاسكندري وقال لي احمد بن حنبل ثم قال لي ربي يا احمد ادعني بتلك الدعوات
التي بلغتك عن سفيان الثوري وكنت تدعو بهن في دار الدنيا قال فقلت يا رب كل
شيء بقدرتك على كل شيء لا تسئلني عن شيء اغفر لي كل شيء فقال لي يا احمد هذه الجنة
فقم ادخل اليها فدخلت فاذا انا بسفيان الثوري رحمة الله عليه وله جناحان احمران
يطير بهما من نخلة الى نخلة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت ما فعل عبد الوهاب الوراق
قال تركته في بحر من نور في زلالة من نور يزور به الملك الغفور فقلت له ما فعل بشر
فقال بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل مائدة من الطعام والجليل جل
جلاله مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم ياكل واشرب يا من لم يشرب وانعم
يا من لم ينعم وقال قبيصة رايت سفيان الثوري فقلت له ما فعل الله بك
قال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد وقد كنت قواما
اذا اقبل الدجا بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني
فاني منك غير بعيد وكان الطاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى الحبة
في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وكان
عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك لين والله
لفي الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الحسن ان الرجل ليذنب فيحرم
به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك
محروم وقد كثرت خطيئتك وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان

في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا
اطلع الفجر فقالت ما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن
فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع
نمت في منزل الشافعي ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرة وقال ابو الجويرية
لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف
الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل وكان يحيي الليل
كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي
ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي تحسن ان
تقرا فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها الهتك اللذايذ والاماني عن البيض الاوانس
في الجنان تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان تنبه من منامك ان خيرا
قال ص من النوم التهجد بالقران ويروى ان ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه رايت في المنام
امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت الحوراء فقلت زوجيني نفسك
فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد ويقال ان
وهب ابن منبه اليماني ما وضع جنبه على الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي
شيطانا احب الي ان ارى وسادتي لانها تدعوا الى النوم وكان له مسورة من ادم
اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال بعضهم رايت
رب العزة في المنام فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي صلى لي
الغداة بوضوء العشاء اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل
الوضوء ويروى عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا لا يستنظر

بقيامه صلح الذكر وقيل للحسن ما للمجتهدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا
بالرحمن فالبسهم نورا من نوره قال ذو النون المصري في وصف القوم في كلام طويل وقد هذا
اجسامهم الوعيد وغير الوانهم السهر الشديد وانشد رجال اطاعوا الله في السر والجهر
فما باشروا اللذات حينا من الدهر اناس عليهم رحمة الله انزلت فظلوا سكوتا في الكهوف
وفي القفر يراعون نجم الليل ما يرقدونه فباتوا بادمان التهجد والصبر مداخرهم
القوم للخلق وحشة فصلح بهم انس الجليل الى الذكر فاجسامهم في الارض هونا
مقيمة وارواحهم يسرى الى معدن الفخر وعن حارث المحاسبي اجتمع جماعة من العلماء
فاتوا عابدا في بيته فقال له اوصنا بوصية فقال اقطعوا الدهر اخوتي بمناجات ربكم
واجعلوا الهم واحدا هواهي لعيشكم وقيل له فما ميراث ذلك اذا فعلنا فقال عابد
ترثوا العز والمنى وتفوزوا بحظكم قيل له فمتى نكون ملوكا في الدنيا وملوكا في الاخرة
فقال حين يسكنكم العزيز على قدر ذكركم فتكونوا مقربا اليه على قدر حبكم قالوا
وما الذي يقطع بنا عنه عز وجل فقال لانكم تماوتون في المنى وتناسون فعلكم
وانتم مع ذلك تتمنوا امانيا ليس يصلح مثلكم وذلك انكم قد شغلتم عن الاله لا اصلاح
قالوا فيما نستعين على الطاعة فقال بذكر حبيب العارفين فانكم لو سقيتم
محبته مثل ما ذاق غيركم لنفى عنكم الرقاد على لين فرشكم اخوتي لو وردتموا
في غد عند بعثكم فوق نوق من النجايب معكم نبيكم وتزورون ماجدا
واحدا لا يملكم قالوا وما زوار عنك اذا قصدوه قال انهم قاربوا الجليل فتجلى لقربهم
فاذا عاينوا المليك نسيت همومهم سمعوا من كلامه وسمع من كلامهم قالوا فما
علامة من سقاه بكاس محبته فقال علامته ان يكون عليل القول بذكر الموت بطي
يتملك

الفتور في جميع الامور كثير الصيام شديد السقام كثير السهاد قليل الرقاد
عفيفاً نحيفاً قلبه في العرش جولان وكلله مراده في كل الاحوال بيان الاسباب
التي بها يتيسر قيام الليل بها اعلم ان قيام الليل عسيرة على الخلق الا على من
وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً فاما الظاهر فاربعة
امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام
كان بعض المشايخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا
كثيراً فترقدوه كثيراً فتحسروا اعند الموت كثيراً وهذا هو الاصل الكبير
وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار
في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف به الاعصاب فان ذلك مجلبة للنوم
الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سبب للاستعانة على القيام بالليل
الرابع ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين
الاسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافاً فاحب قيام الليل
واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل
السوق فسمع لغطهم ولغوهم ويقول اظن ليل هولاء ليل سوء وقال الثوري
حرمت قيام خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وماذاك الذنب قال رايت رجلاً
بكى فقلت هذا مراءي وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت
اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يولمك قال اشد قلت
فاذلك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا وردي البارحة وماذاك
الا بذنب احدثته وهذا لان الخير يدعوا الى الخير والشر يدعوا الى الشر والقليل

من كل واحد منهما ينجر الى الكثير ولذلك قال سليمان الدارانى لا يفوت احدا
صلوة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد
وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر فان
العبد ليأكل الاكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاول
فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وهو احد السدود
المذكورة فى قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون ولعل الله يوفقنا على تصنيف مختصر نبين فيه
الذنوب كلها وكيفية تاثيرها وتعدد اثارها وكيفية منعها عن الطاعات
وبيان الذنوب الذى يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وكيفية
تاثير القلب واسودادها وكيفية تحجيتها واشرابها ان شاء الله تعالى
واخصها بتاثير تناول الحرام ويؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه
الى الخير ما لا يؤثر غيره ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلب بالتجربة بعد شهادة
الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت
قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة
وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وساير
الخيرات وقال بعض السجانين بديسور بقيت سجانا نيفا وثلثين سنة اسال
عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء فى جماعة وكانوا يقولون لا فهذه تنبيه
على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطى الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة
الاول سلامة القلب عن حقد المسلمين وعن البدع وعن هموم الدنيا فالمستغرق الهم فصول ٤
بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر فى صلوته الا فى مهماته ولا يجول الا فى

في وساوسه وفي مثل ذلك يغال وانت اذا استيقظت ايضا فنايم الثاني خوف
غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه
وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما
بالبصرة اسمه صهيب كان تقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك
بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل
فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام
ولذي النون المصري رحمه الله عجبا للقلب كيف لا يتصدع ولركن جسمك كيف
لا يتضعضع فلكحل بطول السهاد لذي الدجى ان كنت تفهم ما اقول وتسمع
منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها ان تهجع فهمو اعن الملك الجليل
كلامه فهاتذل له الرقاب وتخضع وله من ذاق طعم الوداد حرم جميع العباد
من ذاق طعم الوداد قلى لذيذ الرقاد من ذاق طعم الوداد انس برب العباد وانشد
يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات ان في القبر ان نزلت اليه
لرقادا يطول بعد الممات ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت اوحسنات
امنت البيات من ملك الموت كم نال آمنا بينات وستكتب كتابا مختصرا التهجد
القسم الثاني من الميسرات الباطنة ان الله
الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والاخبار حتى يستحكم به رجاؤه
وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي
ان بعض الصالحين رجع ~~اصبح فقالت زوجته كنا ننتظر فراشه~~ تلك الليلة فدخل
المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح
فقال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل

من غزو ثم وامراته كانت ينتظره وراشه

الرابع

وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان فنعت طول ليلي شوقا اليها بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو يناجي به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه احب الله فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة وتلذذ بمناجاة فيحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ويشهد على ذلك العقل والنقل سنذكران شاء الله تعالى في المختصرة الذي تقدم الوعد به وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام بخلوة بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت تشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليس من الدنيا انما هو من الجنة اظهرها لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها انوارا فترد الفوايد على قلوبهم فيستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي فاشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك فقال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس

كما يجئ الطرائى او كارها فاذا جن الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الى اقدامهم وافترشوا وجوههم وناجوني بكلامهم وتملقوني بانعامي
نبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم و
الثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم
والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد
ان اعطيه وقال مالك دينار اقام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون
ما يجدون من قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار قرب الرب من القلب وهذا له
سر وتحقيق سيذكران شاء الله في المختص الموعود وشكى بعض المريد الى استاذه
طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان الله نفحات في الليل والنهار
بيان النايمة
تصيب القلوب المتيقظة وتخطى القلوب الغايمة فتعرض لتلك النفحات في الليل والنهار تصيب
القلوب المتيقظة فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات
بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح
عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم
يسال الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية الاخرى يسال الله خيرا من الدنيا والآخرة
الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القايمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل
كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة نفحات المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث

المقدار له سبع مراتب المرتبة الاولى احياء الليل كله في شان الاقوياء الذين تجردوا للعبادة لله
هذا قوة للاعلى

وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام
الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان طريق جماعة من السلف كانوا يصلون
الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكى على سبيل الاشتهار عن
اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم
المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاووس ووهب بن المنبه
اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان
وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب بن محمد وابو جابر السلمانية
الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت
ويحيى بن البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم
رجع وقراءة مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة
يكثر عددها **الرتبة الثانية** ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عددهم
المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس
الاخير منه حتى يقع القيام في جوف الليل ووسطه فهو افضل **الرتبة الثالثة**
ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر
الليل محبوب مستحب لانه يذهب النعاس بالغدوات وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه
والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه قالت
عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت
له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه للصلوة
وقالت ايضا ما الفته السحر على الا نايم حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة رضي الله عنه وكان نوم هذا الوقت

113

سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفي استراحة
تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من نصف الاخير ونوم السدس
الاخير قيام داود عليه السلام **الرتبة الرابعة** ان ينوم سدس الليل او خمسه
وافضله ان يكون في النصف الاخير وقيل السدس الاخير **الرتبة الخامسة**
ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به
من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم في اول الليل الى ان يغلبه
النوم واذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له بالليل نومتان
وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو طريقه ابن عمر واولوا العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان
بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله
عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل
ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل
عليه قوله تعالى في موضعين من سورة المزمل قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان
كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان
نصف الليل وثلثه فقد قالت عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع
الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فادونه وروى عن واحد انه قال راعيت
صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر
في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا
فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ

فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة **الرتبة السادسة** وهي
الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل
للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد
جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه
ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل ما بين
العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح
نائما ويقوم بطرفي الليل فهذه هي **الرتبة السابعة** ومهما كان النظر
الى المقدار يرتب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة
والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري لهما في التقدم والتاخر على الترتيب
المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون
الرابعة **بيان الليالي والايام الفاضلة** اعلم ان الليالي
المخصوصة بمزيد الفضل الذي يتاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة
ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات
ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضايل الاوقات لم
ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان وخمسة منها اوتار العشر الاخير اذ
فيها ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم
التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر قال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع
الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا واول ليلة من رجب وليلة النصف
منه وليلة سبع وعشرين منه وهو ليلة المعراج وفيه صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات

ماية سنة فمن صلى فيها اثنى عشر ركعة يقراء في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة
من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ماية مرة ويستغفر الله ماية مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
ماية مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صايما فان الله تعالى
يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية **واما ليلة النصف** من شعبان
ففيها ماية ركعة بسورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونه كما اوردناه في صلوة
التطوع وليلة العرفة وليلتا العيد قال صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد
لم يمت قلبه يوم يموت القلوب **واما الايام الفاضلة** فهي تسع عشرة
يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين من رجب
له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله
له صيام ستين شهرا وهو يوم الذي هبط فيه جبرئيل على محمد عليهما السلام
بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعت بدر ويوم النصف
من شعبان يوم الجمعة ويوم العيد والايام المعلومات وهي العشر الاول
من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر
رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة
في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة
وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين
يرفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر

والايام للصيام في كتاب الصوم

فلا حاجة الى الاعادة

الطالب

تمت الكتاب مرشد السالكين بعون الله وحسن توفيقه

وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين

والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

كتب العبد الضعيف المذنب المحتاج الى رحمة الله تعالى خليل موسى القسطموني

غفر الله لهما ولجميع المؤمنين والمؤمنات

وقع الفراغ من تحريره وقت العشاء في ليلة اثنين في ربيع الاخر سنة ثمان وثمانية

ومهما اكل حلالا قال

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقراء بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش لا يقوم عن المائدة اولا حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصايمون واكل

قال النبي صلى الله عليه وسلم ... الى الحسنات ... من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة ح

طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليقل اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا
فيما رزقنا وزدنا منه ولو اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا
خيرا منه ك عن عثمان رضي الله عنه انه كان اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته
فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم
ينج منه فما بعده اشد منه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا
قط الا والقبر افظع منه غريب وعن عثمان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم ثم سلوا له بالتثبيت فانه
الآن يسئل ود تاج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة
لو ان تنينا منها نفخ في الارض ما انبتت خضرا صدق رسول الله ك

اذا تم امر دنى نقصه … توقع زوالا اذا قيل تم
اذا كنت في نعمة فارعها … فان المعاصي تزيل النعم

عن علي رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها اتت النبي عليه السلام تشكو اليه ما تلقى
في يدها من الرحى وبلغها انه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعايشة رضي الله عنها
فلما جاء اخبرته عايشة رضي الله عنها فجاءنا وقد اخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال
على مكانكما فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال الا ادلكما
على خير مما سالتما اذا اخذتما مضجعكما فسبحا ثلثا وثلثين واحمدا ثلثا وثلثين
وكبرا اربعا وثلثين فهو خير لكما من خادم

قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني خلق من جنسكم اناثا وجعل لكم من ازواجكم بنين
يعني وخلق لكم من نسائكم بنين وحفدة يعني ولد الولد ويقال هم الخدم والاعوان
والاصهار وروى عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال الحفدة الاحباب وقال مجاهد
الحفدة الخدم والانصار والاعوان وعن ابن مسعود قال هم الاصهار وقال ربيع بن
انس البنين ابن الرجل من امراته والحفدة ابن المراة من غيره وقال زر بن حبيش الحفدة
حشم الرجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال الولد الصالح وقال اهل اللغة اصله
في اللغة السرعة في المشي ويقال في دعاء الوتر ونحفد يعني نجتهد في الخدمة والطاعة
ثم قال ورزقكم من الطيبات قال الكلبي يعني الحلال ان احلّهم به وقال مقاتل الطيبات الخبز والعسل
وغيرهما من الاشياء الطيبة بخلاف رزق البهايم والطيور ثم قال افبالباطل يؤمنون يعني يقول بالشيطان
يصدقون يعني الالهة بان مع الله الها آخر ويقال افبالباطل يؤمنون افتعبدون الاصنام التي لا تقدر
على قوتهم ولا منفعتهم وبنعمة الله هم يكفرون يعني يجحدون بوحدانية الله تعالى ويقال وبنعمة الله
هم يكفرون ولا يؤمنون برب هذه النعم تفسير ابو الليث

عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات
جمع دثر وهو المال
ونعيم المقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم
وليست لنا اموال قال عليه السلام افلا اخبركم بامر تدركون به من قبلكم وتسبقون به
من جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلوة عشرة
وتحمدون عشرا ويكبرون عشرا وفي رواية تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلوة ثلثا
وثلثين مصابيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب
يا عماه الا اعلمك الا امنحك الا افعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر لك ذنبك اوله وآخره
قديمه وحديثه خطاءه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته ان تصلي اربع ركعات تقرء في كل
ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة قلت وانت قائم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا
فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود ساجدا فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها
عشرا قبل ان تقوم فذلك خمس وسبعون في كل ركعة ان استطعت ان تصليها في يوم مرة فافعل فان لم
تفعل ففي كل جمعة فان لم تفعل ففي كل شهر فان لم تفعل ففي كل سنة فان لم تفعل ففي عمرك مرة مصابيح
قال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم بين التكبير وبين القراءة اسكاتة فقلت بابي انت وامي يا رسول الله
اسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق

قال الكلبي يعني الالهة وقال ان فاء افبالباطل يؤمنون صح

اى طهرنى

والمغرب اللهم نقنى من الخطايا والذنوب كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد

قال كعب بن عجرة سالنا رسول الله كيف نسلم عليك قال ب اقول صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله مصابيح

كيف الصلوة عليكم اهل البيت فان الله عز وجل قد علمنا كيف نسلم عليك قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد

كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل 116

ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابى حميد الساعدى قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد

وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد مصابيح قال اهو

وقال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلوته استغفر ثلثا وقال اللهم انت السلام

ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام مصابيح عن معاذ بن جبل انه قال اخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال انى لاحبك يا معاذ فقلت وانا احبك يارسول الله قال فلا تدع ان تقول فى دبر كل صلوة اللهم رب

اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك مصابيح وعن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم

تلاوة صح

يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القران يقول قولوا اللهم انى اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ

بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وقال ابو بكر

رضى الله عنه للنبى علمنى دعاء ادعو به فى صلوتى قال قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب

الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور الرحيم مصابيح وعن ابى هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ احدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من اربع من عذاب

جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال مصابيح وعن ابى طلحة

عطف بيان المسيح

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذا يوم والبشر فى وجهه

اى اثر البشارة فى الوجه

فقال انه جاءنى جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول اما يرضيك يا محمد ان لا يصلى عليك احد من امتك

الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وعن ابى بن كعب

قال قلت يارسول الله انى اكثر عليك فكم اجعل لك من صلوتى فقال ما شئت فقلت الربع

قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت فان زدت فهو خير لك

قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلوتى كلها قال اذا

تكفى همك ويكفر لك ذنبك مصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلوة الرجل حتى يقيم ظهره

فى الركوع والسجود صحيح مصابيح وسئل عن عمر بن الخطاب عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم

ذريتهم الاية قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال عنها فقال ان الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه

فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بيده فاستخرج منه ذرية

فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة
واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار
صدق رسول الله مصابيح وعن ابن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع
في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع
كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل ليعمل بعمل اهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل به الجنة وان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخل النار وعن سهل بن سعد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه ان العبد ليعمل عمل اهل النار
وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم وقالت عايشة رضي الله عنها
دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة
لم يعمل سوءا قال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق للجنة وخلق النار وخلق لهذه اهلا خلقهم لهما وهم
في اصلاب ابائهم وعن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد كتب
مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة وان كان من اهل الشقاوة فسييسر
لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الاية مصابيح

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

كتبه العبد الفقير
رجب عفي عنه امين
سنة ١٠٦٣ بجامع دنكز



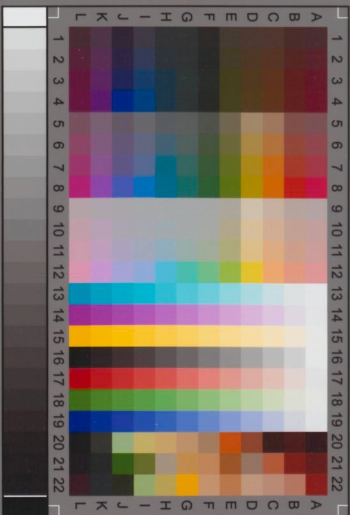
595







595



IT8.7/2-1993
2010:02
Printed on FUJICOLOR Crystal Archive Paper - Made by Wolf Faust (www.coloraid.de)
Charge: R100205-4